وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة العربي التبسي - تبسة

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر (ل.م.د)

تخصص: لسانيات عربية

الاتساق النصي من خلال قرينتي الربط والإحالة

دراسة في سورة الكهف

إعداد الطالبتين:

- سعاد نجار
- فايزة مهابلية

إشراف الدكتور:

- كمال الدين دويشين

الاسم واللقب	الرتبة	الصفة
رشيد عمران	أستاذ محاضر –ب–	رئيسا
كمال الدين دويشين	أستاذ مساعد –أ–	مشرفا ومقررا
عبد الحميد عمروش	أستاذ محاضر –أ–	مناقشا

السنة الجامعية: 2022/2021

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة العربي التبسي - تبسة

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر (ل.م.د)

تخصص: لسانيات عربية

الاتساق النصي من خلال قرينتي الربط والإحالة

دراسة في سورة الكهف

إعداد الطالبتين:

- سعاد نجار
- فايزة مهابلية

إشراف الدكتور:

- كمال الدين دويشين

الاسم واللقب	الرتبة	الصفة
رشيد عمران	د. أستاذ محاضر –ب–	رئيسا
كمال الدين دويشين	د. أستاذ مساعد –أ–	مشرفا ومقررا
عبد الحميد عمروش	د. أستاذ محاضر –أ–	مناقشا

السنة الجامعية: 2022/2021

بسم الله الرحمن الرحيم
١٤٢٠

شكر وعرفان:

الحمد لله الذي بعزته وجلاله تتم الصالحات، اللهم لك الحمد حمدا أبلغ به رضاك وأؤدي به شكرك وأستوجب به المزيد من فضلك نحمد الله تعالى ونشكره على اتمام عملنا هذا، ومن هذا المقام أتقدم بأسمى عبارات الامتنان إلى أستاذي المشرف: كمال الدين دويشين.

تعجز الأقلام أن تكتب ما يحمل قلمي من تقدير واحترام، فإن قلت شكرا فلن يوفيك الشكر حقك، فقد كنت لنا نعم القدوة ونعم الأستاذ فما أجمل أن يكون الإنسان نجمة تنير سماء الآخرين.

إليك يا من كان له فضل السبق في العلم والتعليم أهدي عبارات الشكر الجزيل على إرشاداتك الصائبة وما بذلته من جهد ووقت في تقويم اعوجاج هذا البحث نسأل الله لك دوام الصحة والعطاء.

كما لا ننسى شكر أعضاء اللجنة المناقشة: الأستاذ عبد الحميد عمروش والأستاذ رشيد عمران وكل أساتذة اللغة والأدب العربي لجامعة تبسة

والشكر موصول إلى كل من أمدنا بيد العون والمساعدة من قريب أو بعيد في انجاز هذا العمل فجزاكم الله كل خير.

مقـــــدمة

نحمد الله على أن جعلنا أمّة عربيّة خصّها بالذّكر الحكيم، وأنزله قرآنًا عربيا خالدًا إلى يوم يبعثون ممّا زاد لغته سموًا وإجلالاً بين باقي اللّغات.

وعلم اللّغة، اللّسانيات أو الألسنيّة، هي تسميات أطلقت على ذلك الفرع العلميّ الحديث الذي يُعْنَى بدراسة اللّغة لذاتها ومن أجل ذاتها، وقد ظهر مع اللغويّ السويسريّ الشّهير " فرديناند دي سوسير ". وموضوع اللّسانيات هو اللّغة، حيث يدرسها وفق منهج وصفيّ آنيّ، وتعدّ الجملة أبرز تركيب نحويّ يمكن إخضاعه للدّراسة والتحليل؛ فهي نسق من الحروف والكلمات التي تترابط مع بعضها لتشكّل عبارة تحمل معنى تامًا، وتترابط الجمل ببعضها لتشكّل بدورها وحدة أكبر منها وهي النصّ. والانتقال من دراسة الجملة إلى نطاق أوسع وهو النّص أهمّ مبدأ جاء به الفرع الحديث من اللّسانيات وهو لسانيات النّص الذي كانت بدايته مع **زليغ هاريس Zellig Harris** " في مقاله " تحليل الخطاب

فلسانيات النّص هي فرع من اللّسانيات حديث النّشأة أحدث ثورة في الدّراسات اللّسانيّة فكان فيه الانتقال من دراسة الجملة إلى نطاق أوسع وهو النصّ، باعتباره أكبر وحدة لغويّة توفّر الظروف المناسبة للدّراسة اللّغوية، كما يبحث هذا العلم في مدى تماسك النّصوص واتّساقها.

وقد احتلّ موضوع الاتّساق النّصيّ موقعًا مركزيّا في الدّراسات اللّسانّية، فهو من أهمّ المواضيع التي تطرّق لها اللّسانيّون، ولاقت اهتمامًا واضحًا في دراستهم للنّصوص الأدبيّة وحتّى القرآنية، وهذا ما دفعنا لاختيار موضوع " الاتّساق النّصيّ من خلال قرينتي الرّبط والإحالة في سورة الكهف.

وبما أنّه موضوع ثريّ ومتعدّد الجوانب، فإنّ من الأسباب الذاتية التي دفعتنا إلى اختيار هذا الموضوع هي ميولنا إلى هذا النّوع من الدّراسات اللّسانيّة، ورغبتنا في تتبُع مدى تجلّي مظاهر الاتّساق النّصيّ في سورة الكهف.

ومن الأسباب الموضوعيّة هي أنّ الاتّساق هو من أهم المعايير النّصيّة، حيث يفرض حضوره مع كلّ نّص، فهو معيار يهتمّ بدراسة الوسائل والآليات التي تحقّق

خاصيّة الاستمرار والتّواصل داخل النّصّ، ويحقّق ذلك من خلال عدّة قرائن، أهمّها الرّبط والاحالة.

وكانت انطلاقتنا لمعالجة هذا الموضوع مؤسّسة على جملة من الإشكاليات نروم الإجابة عنها من خلال هذه الدّراسة التطبيقيّة، أهمّها:

- ما هو مفهوم النّص ؟ وما مفهوم الخطاب ؟
- وما الفرق بين النّص والخطاب ؟
- وما هو مسار الانتقال من لسانيات الجملة إلى لسانيات النّص ؟
- بما أنّ النّص هو الركيزة الأساسية في الدراسات اللسانية النّصية الحديثة فإنّ له معايير تحقق نصّانيته، ماهي هذه المعايير؟ وما مدى تحقّق هذه المظاهر النّصيّة في القرآن الكريم ؟

-وهل قرينتا الرّبط والإحالة عنصران أساسيان في توضيح معاني القرآن الكريم أم هما فقط مجرد روابط نحويّة؟ وكيف ساهمت هذه الرّوابط في اتّساق سورة الكهف ؟

وقد أخذت الإجابة عن هذه التساؤلات مسار فصلين وخاتمة، حيث تضمّن الفصل الأوّل الموسوم بـــ ((مباحث في لسانيات النصّ)) حديثًا عن أغلب المصطلحات اللّسانيّة منها: تعريف النّصّ، في الوضع اللغويّ والاصطلاحيّ، عند العرب وعند الغرب، كما تطرّقنا إلى مفهوم الخطاب عند العرب وعند الغرب، والفرق بين النّص والخطاب، ومسار انتقال الدّرس اللّساني الحديث من لسانيات الجملة إلى لسانيات النّصّ، كما أسْهَبْنا فيه الحديث عن معايير الاتّساق النّصيّ وأهم آلياته ووسائله، وتضمّن الفصل الثّاني الموسوم بـــ ((الاتّساق النصّيّ في سورة الكهف))، التّعريف بسورة الكهف وفضلها وأسباب نزولها، ثمّ تتبّعنا مظاهر الاتّساق النصّي في السّورة، من خلال قرينتي الرّبط والإحالة؛ حيث تناولنا بالتحليل جملة من الآيات القرآنيّة في هذه السورة لمسنا فيها دورا لطائفة من الرّوابط في اتّساق النصّ؛ منها روابط مختصّة بالدّخول على المفردات، وروابط مختصّة بالدّخول على الجمل، وأخرى مختصّة بالدّخول على المفردات والجمل

معًا. كما لمسنا في هذا النصّ القرآنيّ دور بارز لقرينة الإحالة الّتي أدّت – في هذا النصّ – وظيفتين: وظيفة تركيبيّة وأخرى دلاليّة. وأعقبت هذه الدّراسة التطبيقيّة بخاتمة حاولنا أن نحصر فيها أهمّ النّتائج التي خلصت إليها هذه الدّراسة.

وقد استثمرت هذه الدّراسة المنهج الوصفيّ لوصف الظواهر اللّسانيّة في هذا النصّ والتي تتعلّق بالآليات الّتي أسهمت في اتّساق النصّ وما أضفته هذه القرائن من شحنات دلاليّة ساعدت على إبراز مقاصد هذه القصّة القرآنيّة. كما استثمرت هذه الدّراسة آليات عديدة كآلية التحليل وآلية التفسير ممّا ساعد البحث على الوقوف على مظاهر الاتّساق النصّي في هذه القصّة وسبر أغوار مقاصد الشّريعة من خلال هذه القصّة.

وهذه الدّراسة لا تدّعي فضل السّبق إلى تناول هذا الموضوع، فقد حفلت المكتبة الجامعيّة بأبحاث خاضت في هذا الموضوع أو في بعض جزئياته، نذكر منها :

– الاتّساق والانسجام في القرآن لمفتاح بن عروس، رسالة مقدّمة لنيل شهادة دكتوراه الدّولة في تخصّص: لسانيات النصّ، جامعة الجزائر، 2007م / 2008م.

– القرائن النّحويّة اللّفظيّة والاتّساق النصّيّ لسليمان بوراس. بحث لنيل شهادة دكتوراه العلوم في اللّغة، تخصص لسانيات اللغة العربية، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2013م / 2014م.

– بنية النّص في سورة الكهف مقاربة نّصية للاتّساق والسّياق لشعيب محمودي، مذكرة تخرّج لنيل شهادة الماجستير في اللّسانيات، جامعة منتوري، قسنطينة، 2009م / 2010م.

– الاتّساق والانسجام في سورة الكهف لمحمود بوستّة، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، تخصّص لسانيات اللّغة العربية، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2008م / 2009م.

لكنّ هذه الدّراسة حاولت أن تشقّ لنفسها طريقا يجنّبها مغبّة التّقليد، مسترشدة بجملة من المصادر والمراجع المناسبة لموضوع البحث، منها :

- لسانيات النّص مدخل إلى انسجام الخطاب " لمحمد خطابي؛
- ونحو النص لأحمد عفيفي؛
- والنص والخطاب والإجراء لروبير دوبوغراند؛
- وتفسير التحرير والتنوير " لمحمد الطاهر بن عاشور "؛
- وصفوة التفاسير "للصابوني "؛
- إعراب القرآن وبيانه لمحي الدين درويش.

وفي الختام، لا ننسى أن نتقدّم لأستاذنا المشرف على هذا العمل بالشّكر الخاصّ والتقدير الأسمى على دعمه ومساندته لنا وحسن تعامله معنا، فقد كان لنا خير الأستاذ وخير القدوة ونعم الأب، فله منّا كامل الاحترام والتقدير، كما نتقدّم بالشكر الجزيل إلى كلّ مَنْ قدّم لنا يد العون، من قريب أو من بعيد، وخاصّة الأستاذ "رزيق بوزغاية " راجين من المولى التوفيق والسّداد إلى كلّ ما فيه الخير، آملينا أن يكون مجهودنا هذا لبنة تُضاف إلى الأعمال الجليلة الّتي قدّمت خدمة للقرآن الكريم.

الفصل الأول: مباحث

في لسانيات النص

1- مفهوم النص

2- مفهوم الخطاب

3- بين النص والخطاب

4- من لسانيات الجملة إلى لسانيات النص

5- مفهوم النصية

6- معايير النصية

7- مفهوم الاتساق

8- وسائل الاتساق

زخرت اللّسانيات النصيّة بالعديد من المصطلحات العلميّة، ولعلّ أبرزها مصطلح النصّ الذي يعدّ المحطّة الأولى في هذا العلم، فلا تستطيع دراسة أيّ مبحث من لسانيات النصّ دون أن نعرّج على مفهومه –النصّ–.

1– مفهوم النصّ

أ– النصّ في الوضع اللّغويّ :

تعدّدت تعريفات النصّ في المعجمات العربيّة منها ما ورد في لسان العرب، حيث يعرّف ابن منظور (ت 711هـ) النصّ بأنّه: << رفعك الشّيء ونصّ الحديث ينصّه نصًّا، رفعه، وكلّ ما أظهر فقد نُصَّ. وقال عمرو بن دينار: ما رأيت رجلا أنصّ الحديث من الزّهريّ أي أرفع له وأسند، يقال: نصّ الحديث إلى فلان أي رفعه (...) ونصّ الرّجل نصّا إذا سأله عن شيء حتى يستقصي ما عنده، ونصّ كلّ شيء منتهاه>>[1].

وجاء في القاموس المحيط: << نصّ الحديث إليه: رفعه، نصّ ناقته: استخرج أقصى ما عندها من اليسير، ونصّص الشّيء: حرّكه، ومنه فلان ينصّ أنفه غضبا ونصّ الشّيء أظهره >>[2].

ويعرّف الشّريف الجرجانيّ (ت 816 هـ) النصّ بقوله: << ما ازداد وضوحا على الظاهر لمعنى في المتكلم وهو سوق الكلام لأجل ذلك المعنى، فإذا قيل: (أحسنوا إلى فلان الذي يفرح بفرحي، ويغتم بغمي) كان نصًّا في بيان محبته، والنصّ مالا يحتمل إلا معنى واحدا، وقيل: ما لا يحتمل التأويل>>[3] .

---

[1]- ابن منظور: لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، ط03، 2004م، 271/14.

[2]– الفيروز أبادي: القاموس المحيط، تق: أبو الوفاء نصّر الهوريني المصري الشافعي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط01 ،2004م ،ص654.

[3]– الشريف الجرجاني: معجم التعريفات، تح: محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة، القاهرة، مصر، (د. ط)، (د.ت)، ص 202 – 203.

يتّضح من خلال التعريفات السّابقة أنّ معنى النصّ لغويًا يدور حول الرّفع والإظهار المعنويّ والماديّ، أي رفع المخاطب نصّه حتّى يتحقّق فهمه من طرف المتلقّي فتصل بذلك الرّسالة ويكون ظاهرًا للعيان.

ويفيد أيضا ضمّ الشّيء إلى الشّيء؛ أي ضمّ الجمل والعبارات إلى بعضها البعض، داخل نسق واحد، كما يعني الارتفاع والظّهور أي البعد عن الخفاء والغموض، كما أنّ نصّ كل شيء منتهاه وأقصاه.

ب- النص في الوضع الاصطلاحي:

يدل مصطلح النصّ على عدة معانٍ، منها: الارتفاع، الوضوح، البروز، وقد عرفه العرب القدامى عدة تعريفات، نذكر منها:

النصّ عند العرب القدماء :

يعرّفه السّرخسيّ (ت 490) بقوله: << النصّ فما يزداد وضوحا بقرينة تقترن من المتكلم ليس في اللفظ ما يوجب ذلك ظاهرًا بدون تلك القرينة >>[1].

فهو ما ازداد وضوحًا عن الظّاهر بقرينة توجب وضوح اللّفظ وتقترب بالمتكلّم، ويورد التّهانويّ (ت 1158هـ) تعريفا مفصّلا للنصّ، حيث النصّ << بالفتح والتشديد هو في عرف الأصوليين يطلق على معانٍ، الأول كل ملفوظ مفهوم المعنى من الكتاب والسّنة سواء كان ظاهرا أو نصّا مفسرا، حقيقة أو مجازا عاما أو خاصا اعتبارا منهم الغالب، لأنّ عامّة ما ورد من صاحب الشّرع نصوص، وهذا المعنى هو المراد بالنّصوص في قولهم عبارة النصّ وإثارة النصّ ودلالة النصّ واقتضاء النصّ >>[2].

[1]- محمد بن أحمد السرخسي: أصول السرخسي، تح: أبو الوفاء الأفغاني، لجنة إحياء المعارف النعمانية، الهند، (د. ط)، (د.ت)، 164/1.

[2]- محمد علي التهانويّ: كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، تح: رفيق العجم وعلي دحروج، مكتبة لبنان، بيروت، لبنان، ط01، 1996م، ص 1696.

وقدّم التّهانويّ تعريفا مفصّلا للنصّ عند الأصوليين، فهو كلّ لفظ مفهوم المعنى سواء كان عامّا أو خاصّا، حقيقة أو مجازا، ويكون من الكتاب والسنّة، فكلّ ما ورد في القرآن الحكيم والحديث نصوص.

ويتضّح من خلال التعريفات السّابقة أنّ النصّ هو ما كان واضحا وجليًّا لا يقبل كثرة المعاني، فهو كلام ذو معنى واضح وتركيب سليم.

النصّ عند العرب المحدثين :

تطرّق العديد من الباحثين العرب المحدثين إلى مفهوم النصّ، حيث يعرّفه " صبحي صالح" بأنّه: << ما دلّ بالصّيغة نفسها على ما يقصد أصلا من سياقه كقوله تعالى: ﴿ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ ﴾[سورة البقرة/275] >>[1] . فهو ما دلّ على قصد معيّن يفهم من السّياق بصيغة محدّدة، مثال قوله تعالى: ﴿ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ ﴾ [البقرة-275]، فالمقصود هنا أنّ الله نفى كلّ أنواع المماثلة بين البيع الحلال والرّبا المحرّم.

ويتطرّق "محمّد خطابي" إلى تعريف النصّ عند هاليداي ورقية حسن، حيث: <<تشكّل كلّ متتالية من الجمل -كما يذهب إلى ذلك هاليداي وحسن – نصّا، شريطته أن تكون بين هذه الجمل علاقات أو على الأصح بين بعض عناصر هذه الجمل علاقات، تتم هذه العلاقات بين عنصّر وآخر وارد في جملة سابقة أو جملة لاحقة أو بين عنصّر وبين متتالية برمتها سابقة أو لاحقة >>[2].

فالنصّ عبارة عن متتالية من الجمل تربط بينها علاقات نحويّة وتركيبيّة وتتجلّى هذه العلاقات في الرّبط بين عنصّر لغويّ في جملة ما من النصّ وعنصّر لغويّ آخر في

[1]- صبحي صالح: مباحث في علوم القرآن، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط10، 1977م، ص 311.

[2]- محمد خطابي: لسانيات النصّ -مدخل إلى انسجام الخطاب-، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط01، 1984م، ص 13.

الجملة التي قبلها أو بعدها، فيحيل إليه إحالة قبليّة أو بعديّة فيتعلق العنصّران ممّا يحدث نوعا من السّبك والحبك في النصّ.

ويرى "نعمان بوقرة" أنّ: << النصّ وحدة كبرى شاملة تتكوّن من أجزاء مختلفة تقع على مستوى أفقيّ من النّاحية النّحويّة، وعلى مستوى عموديّ من النّاحية الدّلاليّة، ومعنى ذلك أنّ النصّ وحدة كبرى لا تتضمّنها وحدة أكبر منها>>[1] .

يعدّ النصّ أكبر وحدة شاملة لأجزاء مختلفة من العبارات والجمل والألفاظ تربطها علاقات نحويّة ودلاليّة.

فهو –النصّ– نسيج من الوحدات اللغويّة الصّغرى المتتالية والمترابطة فيما بينها لتعطي مفهوما محدّدا ودقيقا لا يقبل التأويل إلى عدّة معانٍ ويربط بين هذه الوحدات علاقات نحويّة ودلاليّة وتداوليّة محكمة حتى يكون في قالب واحد متجانس وواضح.

النصّ عند الغرب :

مصطلح النصّ من المصطلحات الشّائعة عند أعلام الغرب، ومن أبرز من قدّم تعريفا للنصّ نجد: "**جوليا كرستيفا (Julia Kristiva)**" التي تحدّد: << النصّ كجهاز عبر لسانيّ يعيد توزيع نظام اللّسان بواسطة الرّبط بين كلام تواصليّ يهدف إلى الإخبار المباشر وبين أنماط عديدة من الملفوظات السّابقة عليه أو المتزامنة معه >>[2].

فهو جهاز مكوّن من خلال اللّسان، يقوم بالرّبط بين كلام خبريّ تواصليّ مباشر وبين ملفوظات عديدة سابقة لهذا الكلام أو متزامنة معه، فالنصّ نتاج لهذا الرّبط النّحويّ والدّلاليّ.

ويعرّف "**هاليداي (M. Halliday)**" و"**رقيّة حسن (R. Hassan)**" النصّ في كتابهما (الاتّساق في الإنجليزيّة) بقولهما: << النصّ وحدة لغويّة في طور الاستعمال وهو

[1]- نعمان بوقرة: المصطلحات الأساسية في لسانيات النصّ وتحليل الخطاب، عالم الكتب الحديث، عمان، الأردن، ط01، 2009م، ص 141.

[2]– جوليا كريستيفا :علم النصّ، تر: فريد الزاهي، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط02، 1997م، ص 21.

لا يتعلّق بالجمل وإنّما يتحقّق بوساطتها، وهما يركّزان على الوحدة والانسجام في النصّ من خلال الإشارة إلى كونه وحدة دلاليّة <<[1]. يركّز هاليداي ورقيّة حسن على الوحدة والانسجام داخل النصّ، فالنصّ وحدة لغويّة دلاليّة تتحقّق بواسطة الجمل.

وأورد "جون دوبوا" تعريفا للنصّ عند " **لويس يلمسلف L. Hjelmslev** " حيث:

«L. Hjelmslev prend le mot texte au sens le plus large et désigne par là un énoncé quel qu'il soit ,parlé ou écrit, long ou bref, ancien ou nouveau»[2].

يتناول "**لويس يلمسلف** " كلمة النصّ من أوسع معانيها، ويرى بأنّه بيان (ملفوظ) على الإطلاق سواء كان منطوقًا أو مكتوبًا طويلاً أو مختصرًا قديمًا أو حديثًا.

وعليه، فإنّ النصّ في معناه العام هو متتالية من الجمل المترابطة والمتراصّة يربطها علاقات منطقيّة ونحويّة ودلاليّة، تقوم بوساطتها عمليّة التّواصل ويتحقّق الفهم عند المتلقي.

الخطاب من المفاهيم التي وقع اختلاف في تحديدها، حيث يبقى ضبط مفهومه، من الأمور النسبيّة، هذا ما جعل كلّ باحث يعرّفه حسب وجهة نظره الخاصّة.

2- مفهوم الخطاب :

أ- الخطاب في الوضع اللغويّ :

يعود لفظ الخطاب إلى الأصل (خَطَبَ)، وقد ورد كثيرا في المعاجم العربيّة، حيث جاء في لسان العرب أنّ: << خَطَبَ: الخَطْبُ: الشّأن أو الأمر، صغر أو عظم وقيل هو سبب الأمر. الخطاب والمخاطبة: مراجعة الكلام، وقد خاطبه بالكلام مخاطبة وخطابا، وهما يتخاطبان>>[3].

---

[1]- محمّد عزّام: النصّ الغائب تجليات التناص في الشعر العربي، اتّحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، (د. ط)، 2001م، ص 16.

[2]-Dubois Jean et autres, Dictionnaire de linguistique, Relevé, Montréal, Qubes, 1994, P 482

[3]- ابن منظور: لسان العرب، 5/ 98.

ويؤيّد الخليل الفراهيدي (ت 175هـ) هذا القول في معجمه "العين" حيث يقول: << خطب: الخَطْبَ: سبب الأمر، والخطاب: مراجعة الكلام>>[1] .

وجاء في معجم الوسيط << خطبت النّاس، وفيهم وعليهم، خطابة وخطبة ألقى عليهم خطبة. الخطاب: الكلام، وفي التنزيل العزيز: ﴿**فَقَالَ أَكۡفِلۡنِيهَا وَعَزَّنِي فِي ٱلۡخِطَابِ**﴾ [ص- 23] >>[2] .

فالخطاب هو مراجعة الكلام، ويقال خطبت في النّاس أو خطبت على النّاس، أي ألقيت عليهم خطبة. والخطاب والمخاطبة هو مراجعة الكلام وطرفا الخطاب متخاطبين.

ب- الخطاب في الوضع الاصطلاحيّ:

الخطاب عند العرب :

يعرّف "**سعيد يقطين**" الخطاب بقوله: << هو اللّغة في طور العمل، أو اللّسان الذي تتكفّل بإنجازه ذات معيّنة، ويتكوّن من متتالية تشكّل مرسلة لها بداية ونهاية >>[3] .

فهو متتالية من الجمل لها بداية ولها نهاية، تحمل معنى محدّد، وتقوم بوظيفة معيّنة، فالخطاب عند سعيد يقطين هو اللّغة عند الاستعمال، أي في وضعها التداوليّ.

ويعرّفه "**مختار الفجاري**" بقوله: << الخطاب نسق من العلامات الدّالّة الخاصّة بالأفراد أو المجموعات أو حتّى الموضوعات، وكلّ نسق من الأنساق الخطابيّة له سمات خلافيّة تميّزه عن غيره من الأنساق>>[4] .

---

[1]- الخليل بن أحمد الفراهيدي: معجم العين، تح: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 01، 2003م، 1/ 418 – 419.

[2]- مجمع اللغة العربية: معجم الوسيط، المكتبة الإسلامية، القاهرة، مصر، ط 02، 1960م، 1/ 242 – 243.

[3]-سعيد يقطين: تحليل الخطاب الروائيّ (الزّمن – السّرد – التبئير)، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط 03، 1997م، ص 21.

[4]- مختار الفجاري: مفهوم الخطاب (بين مرجعه الأصلي الغربي وتأصيله في اللغة العربية)، مجلة جامعة طيبة، ع 03، المدينة المنورة، 1435ه، ص 532.

وظّف مختار الفجاري بعضا من مفاهيم دي سوسير في تعريفه للخطاب حيث يرى أنّه نسق من العلامات تحمل دلالة خاصّة بالأفراد أو الجماعات أو حتّى الموضوعات، وكلّ نسق خطابيّ له مميّزات تميّزه عن غيره من الأنساق الخطابيّة الأخرى.

والخطاب <<هو اللّغة التي يسيطر عليها المتكلّم في حالة استعمال ليكون بذلك مرادفا للكلام، وهو أيضا وحدة تساوي أو تفوق الجملة مكوّن من متتالية تشكّل رسالة ذات بداية ونهاية وتشتغل اللّغة فيه وسيلة تواصل>>[1]، حيث يقوم بعملية التّواصل، فهو اللّغة في طور الاستعمال يتشكّل من متتالية من الجمل تحمل رسالة لها بداية ونهاية، فهو<< كلمة تستخدم للدّلالة على كل كلام متّصل اتّصالا يمكنه من أن ينقل رسالة كلاميّة من المتكلّم أو الكلمة >>[2] .

نستنتج من التعريفات السّابقة أنّ الخطاب مجموعة من الجمل المتتالية والمترابطة تحمل رسالة من المتكلّم إلى السّامع، فهو نسيج مترابط يجسّد اللّغة عند الاستعمال.

الخطاب عند الغرب:

اختلفت وتباينت تعاريف الباحثين الغرب للخطاب، حيث يعرفه "زليغ هاريس" **(Zellig Harris)** بأنّه: << ملفوظ طويل أو هو متتالية من الجمل تكوّن مجموعة منغلقة يمكن من خلالها معاينة بنية سلسلة من العناصر، بواسطة المنهجيّة التوزيعيّة وشكل يجعلنا نظلّ في مجال لسانيّ محض>>[3].

ربط زليغ هاريس مفهوم الخطاب بالتلفّظ، فهو متتالية من الجمل تكوّن بنية مغلقة من العناصر، يمكن تحليلها بواسطة المنهجيّة التوزيعيّة التي تبقينا في مجال لسانيّ بحت.

---

[1]– أحمد مداس: لسانيات النص نحو منهج لتحليل الخطاب الشعري، جدار للكتاب العالمي، الأردن، عمان، ط02، 2009م، ص 10.

[2]– خلود العموش: الخطاب القرآني دراسة في العلاقة بين النص والسياق، جدار للكتاب العالمي، عمان، الأردن، ط01، 2008م، ص 24.

[3]– سعيد يقطين: تحليل الخطاب الروائي، ص 17.

ويعرّف "**إيميل بنفنست**" "**Émile Benveniste** الخطاب موجبا حضور متكلّم وسامع حيث الخطاب عنده: <<هو كلّ تلفظ يفترض متكلّمًا ومستمعًا وعند الأوّل هدف التأثير على الثّاني بطريقة ما>>[1].

ويضيف إلى عمليّة التّواصل التي توجب بالضّرورة وجود طرفي الخطاب وهما المتكلّم والسّامع، وظيفة التأثير التي يقوم بها المخاطب.

ويعرّف "**دومينيك مونغونو**" (**Maingueneau Dominique**) مصطلح الخطاب كونه مصطلحا متداولا في تحليل الخطابات، فمعناه العام يحيل << على نوع من التّناول للغة، أكثر ممّا يحيل على حقل بحثيّ محدّد، فاللّغة في الخطاب لا تعدّ بنية اعتباطيّة، بل نشاطًا لأفراد مندرجين في سياقات معيّنة، والخطاب بهذا المعنى، لا يحتمل صيغة الجمع: يقال (الخطاب) و(مجال الخطاب)... الخ >>[2].

فالباحثون الغرب درسوا الخطاب ضمن سياق تداوليّ، حيث نجد أغلب تعاريفهم للخطاب تدور حول اللّغة في وضع الاستعمال، فهو يدلّ على تناول اللّغة من طرف أفراد معيّنين ضمن سياقات محدّدة، إذن هو نشاط فرديّ في سياق معيّن.

وقد وقع تباين في التفريق بين مصطلحي النصّ والخطاب، فهناك من يرى أن النصّ هو نفسه الخطاب وهناك من يفرّق بينهما.

3- بين النصّ والخطاب: النصّ والخطاب رسالة لغويّة تواصليّة ينتجها المرسل وتُوَجّه إلى المتلقي، تحمل معنى وتهدف إلى التأثير عليه، ويكاد يجمع أغلب الدّارسين على أن النصّ يمثل المظهر الشّكليّ، والخطاب يتمثل في الممارسة الفعليّة للّغة.

---

[1]- عبد الهادي بن ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب، دار الكتاب الجديد، بيروت، لبنان، ط01، 2003م، ص 37.

[2]- دومينيك مانغونو: المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، تر: محمد يحياتن، الدار العربية للعلوم، بيروت، لبنان، ط01، 2008م، ص 38.

يقول "**الأزهر الزناد**" في هذا الصّدد: << وبعضهم يفرق بين "نصّ" وهو كائن فيزيائيّ منجز، و"خطاب" وهو موطن التّفاعل والوجه المتحرّك فيه، ويتمثّل في التعبير والتأويل>>[1].

نجده هنا يعرض رأي الأغلبيّة الذين يفرّقون بين النصّ والخطاب على أساس أنّ النصّ كائن فيزيائيّ مجرّد، والخطاب هو التعبير والتأويل الذي يتّسم بالديناميكيّة والتّفاعل.

<< والخطاب مرتبط بالتلفظ والسياق التواصلي، في حين يتميز النصّ بكونه مجرّدا عن هذا السّياق بشكل كليّ، وقد ميز "**ميشيل آدم M. Adam**" بينهما بهذا الشكل:

الخطاب = نصّ + ظروف الانتاج.

النصّ = الخطاب – ظروف الإنتاج>>[2] .

الخطاب هو كلّ ما يتلفّظ به ويرتبط بالسّياق التّواصليّ، أمّا النصّ فهو مجرّد عن هذا السّياق بشكل كليّ، ويقترح "**ميشال آدم**" معادلة للتفريق بين النصّ والخطاب، هي :

الخطاب = نصّ + ظروف الإنتاج؛

النصّ = الخطاب – ظروف الإنتاج؛

فالخطاب هو النصّ بالإضافة إلى ظروف إنتاجه؛

والنصّ هو الخطاب دون ظروف الإنتاج.

أمّا "روبير دوبوغراند" فهو لا ينكر العلاقة الوطيدة بين النصّ والخطاب، حيث يرى أنّ: << الخطاب هو مجموعة النصّوص التي يربط بينها مجال معرفيّ واحد. أمّا عالم هذا الخطاب فهو جملة الهموم المعرفيّة التي جرى التعبير عنها في هذا الإطار>>[(3)].

---

[1]– محمد الأخضر الصبيحي: مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقية، الدار العربية للعلوم، بيروت، لبنان، (د. ط)، (د.ت)، ص 73.

[2]– جميل حمداوي: محاضرات في لسانيات النص، الألوكة، الناظور، المغرب، ط01، 2015م، ص 08.

[3]– روبير دوبوغراند: النصّ والخطاب والاجراء، تر: تمام حسان، عالم الكتاب، القاهرة، مصر، ط01، 1998م، ص 06.

فهو يربط بين النصّ والخطاب كون الخطاب مكوّن من مجموعة النصّوص التي تتشارك في مجال معرفيّ محدّد، وميدان هذا الخطاب هو مجموعة القضايا التي جرى التعبير عنها.

ومن أهمّ الفروق الأساسيّة بين النصّ والخطاب هو أنّ الخطاب موجّه إلى مستمع حاضر، أمّا النصّ فهو موجّه إلى متلق غائب. والخطاب هو إنتاج شفويّ يكون بين طرفين حاضرين، أمّا النصّ فهو المدوّنة المكتوبة.

وتضيف خلود العموش أنّ: << ليس كل خطاب نصًّا وإن كان كلّ نصّ بالضّرورة خطابا، فالكلام المتّصل خطابًا، ولكنّه لا يكون نصًّا إلّا إذا اكتمل ببداية ونهاية وعُبّر عن موضوعه ببناء متماسك منسجم>>[1].

حيث ترى أنّ كلّ نصّ خطاب بالضرورة، وليس كلّ خطاب نصًّا، فالكلام المتّصل خطاب، ولكنّه لا يكون نصّا إلّا إذا استطعنا التعبير عن موضوعه بنسيج لغوّي متماسك له بداية ونهاية.

4- من لسانيات الجملة إلى لسانيات النصّ:

تُعرَّف اللسانيات على أنّها الدّراسة العلميّة للّغة البشريّة، حيث تقوم على دراسة اللّغة دراسة آنية على المستوى الصّوتيّ والصّرفيّ والتركيبيّ والدّلاليّ، وكان حقل الدّراسة الأساسيّ فيها هو الجملة التي تعتبر الكيان الأوّل في الدّراسة اللّسانيّة، فمن الدّارسين العرب من يعرّفها على أنّها: << الصّورة اللّفظيّة الصّغرى للكلام المفيد في أيّة لغة من اللّغات، وهي المركّب الذي يبيّن المتكلّم به أنّ صورة ذهنيّة كانت قد تألّفت أجزاؤها في ذهنه ثمّ هي الوسيلة التي تنقل ما جال في ذهن المتكلّم إلى ذهن السّامع>>[2].

[1]- خلود العموش: الخطاب القرآني دراسة في العلاقة بين النص والسياق، ص 24.

[2]- مهدي المخزومي: في النحو العربي نقد وتوجيه، دار الرائد العربي، بيروت، لبنان، ط02، 1986م، ص 31.

ويعرّفها "**إبراهيم أنيس**" بقوله: << الجملة أقلّ قدر من الكلام يفيد السّامع معنى مستقلّا بنفسه سواء تركّب هذا القدر من كلمة واحدة أو أكثر>>[1] .

فالجملة هي أصغر تركيب لفظيّ لغويّ يحمل معنى تامًّا يحسن السّكوت عنه، حيث يفيد المتلقّي إفادة كاملة، سواء كانت الجملة مكوّنة من كلمة أو أكثر، وبما أنّ الجملة <<سلسلة من المفردات النّحويّة المختارة >>[2]، فإنّ << نحو الجملة يقوم بدراسة الجمل معزولة عن سياقها>>[3].

ويطلق "**أحمد عفيفي**" مصطلح "نحو الجملة "على ذلك الفرع اللّسانيّ الذي يقوم بدراسة الجمل في معزل عن سياقاتها الخارجيّة، ويضيف أيضا أنّ: << نحو الجملة هو صورة من صور التحليل النحويّ يقف في معالجته عند حدود الجملة ويرى أنّ الجملة هي الوحدة اللغويّة الكبرى التي ينبغي أن يقعد لها، دون أن يتجاوزها إلّا في القليل النّادر>>[(4)].

تقف لسانيات الجملة في الدّراسة عند حدود الجملة، فهي لا تتجاوزها إذ تعتبرها – الجملة– الوحدة اللغويّة الكبرى التي يجب دراستها والتقعيد لها، ولا ينبغي تجاوزها إلى أن جاء "زليغ هاريس" في سنة 1952م، بمصطلح جديد أحدث النقلة النوعيّة في الدّراسة اللّسانيّة في مقاله المعروف بـــ: "**تحليل الخطاب**" الذي يدعو فيه إلى توسيع آفاق الدّراسة والانتقال من دراسة الجملة إلى نطاق أوسع وأشمل وهو النصّ الذي يشبع ويغطّي كلّ المجالات اللغويّة، وهو ما يعرف بلسانيات النصّ، حيث << هذه اللّسانيات تتجاوز الجملة إلى دراسة النصّ والخطاب بمعرفة البنى التي تساعد على انتقال الملفوظ من الجملة إلى النصّ أو الخطاب، أو الانتقال من الشّفويّ إلى المكتوب النصّي>>[5] .

---

[1]– إبراهيم أنيس: من أسرار البلاغة، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، مصر، ط03، 1966م، ص 260–261.

[2]– أحمد عفيفي: نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي ص17_18

[3]– المرجع نفسه، ص 72.

[4]– المرجع نفسه، ص 65.

[5]– جميل حمداوي: محاضرات في لسانيات النصّ، ص 17.

فهذا الفرع اللّسانيّ يركّز على دراسة المضمون في النصّ، حيث ينتقل من دراسة الجملة إلى دراسة النصّ كون «النصّ نظام فعّال(Actual System)على حين نجد الجمل عناصر من نظام افتراضيّ (Virtual system). فالجملة كيان قواعديّ (Grammatical) خالص يتحدّد على مستوى النّحو فحسب، أمّا النصّ فحقّه أن يعرف تبعا للمعايير الكاملة للنصيّة (Textuality)»[1].

وبما أنّ النصّ نظام فعّال يمتاز بالديناميكيّة والتفاعل فإنّه يفسح مجالا أكبر للدّراسة والتجريب مقارنة بالجملة، فعلم النصّ « يتعلّق بكل أشكال النصّ الممكنة، وبالسياقات المختلفة المرتبطة بها، ويعنى- من جهة أخرى- بمناهج نظرية ووصفية وتطبيقية »[2].

يدرس لسانيات النصّ كلّ ما يتعلق بالنصّوص وبسياقاتها المختلفة، أمّا لسانيات الجملة فيدرس الجملة وكلّ ما يتعلّق بها « إذن الصّلة بين نحو الجملة ونحو النصّ وثيقة إلى الحدّ الذي لم تنجح معه كلّ محاولات التمييز بينهما، وتعدّ أهمّ مهمّة لنحو النصّ هي صياغة قواعد تمكّننا من حصر كلّ النصّوص النحويّة في لغة ما بوضوح »[3].

فوظيفة لسانيات النصّ هي حصر أغلب النصّوص اللغويّة في لغة ما، والعلاقة بين لسانيات النصّ ولسانيات الجملة متينة، إذ تتمثل في الانتقال من الخاصّ وهو الجملة إلى أفق أوسع وأعمّ وهو النصّ.

ولعلّ أهمّ ما يميز النصّ هو النصيّة التي تمثل مجموعة المعايير التي تميّز بين ما هونصّ وما ليس نصّا.

---

[1]- روبير دي بوغراند: النص والخطاب والاجراء، ص89_91

[2]- فان ديك: علم النص مدخل متداخل الاختصاصات، تر: سعيد حسن بحيري، دار القاهرة للكتاب، القاهرة، مصر، ط01، 2001م، ص 14.

[3]- سعيد حسن بحيري: علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات، ص 135.

5- النصّيّة (Textuality) :

النصّ وحدة دلاليّة يتحقّق عن طريق الجمل، فكلّ متتالية من الجمل تحمل معنى ورسالة معيّنة تشكّل نصّا، كما يمكن أن يكون النصّ مكتوبًا أو منطوقًا و<< كلّ نصّ يتوفر على خاصية كونه نصًّا يمكن أن يطلق عليها "النصّية" وهذا ما يميّزه عما ليس نصّا>>[1].

والنصّية تعدّ من أهمّ ما يميّز النصّ عن غيره فهي أهمّ محطّة في علم النصّ وتتجلّى في مجموعة العلاقات اللغويّة التي تربط عناصر النصّ وتساهم في وحدته، وحتى يكون النصّ ثابتًا يجب تحقّق التّماسك بين وقائع الأنظمة المشاركة فيه. فالنصّية هي: << طرق تستحضر التكوين نحو نصّي واستمرارية خطابية>>[2]، فهي مجموعة الآليات والطّرق التي تستحضر لتكوين نصّ ما.

معايير النصّيّة :

وهي سبعة معايير حدّدها "**روبير دوبوغراند**" (Robert de Beaugrande) في كتابه "النصّ والخطاب والإجراء" وهي كالآتي :

1- السّبك (Cohesion)**:** ويقصد به الاتّساق أو الترابط اللفظيّ ويتمثل في وجود قرائن لفظيّة تدلّ على ترابط عناصر النصّ بحيث يتحقق لها الترابط الوصفي[3].

2- الالتحام (Coherence)**:** وهو الانسجام أو الترابط الدّلاليّ ويعنى بتحقيق التّماسك المفهومي داخل النصّ، ويشمل ثلاثة وسائل: العناصر المنطقيّة كالسّببيّة والعموم والخصوص -معلومات عن تنظيم الحدث- السّعي إلى التّماسك فيما يتّصل بالتجربة الإنسانيّة[4].

---

[1]- محمد خطابي: لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، ص 13.

[2]- سعيد علوش: معجم المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب، ص 142.

[3]- ينظر: روبير دوبوغراند: النص والخطاب والإجراء، ص 103.

[4]- ينظر: المرجع نفسه، ص 104.

3-<< القصديّة: (Intentionnalité) تعني منتج النصّ من أيّة تشكيلة لغويّة ينتجها أن تكون قصدا مسبوكًا محبوكًا>>[1].

4- << المقبوليّة: (Acceptabilité) هي الوجه الآخر لقصد المنتج في عمليّة الإنتاج، والمقبوليّة بالمعنى الواسع رغبة نشطته للمشاركة في الخطاب أي رغبة المتلقّين في المعرفة >>[2].

5- <<الموقفيّة: (Situtionality) يمثّل مصطلح الموقفيّة تسمية عامّة للعوامل التي تقيم صلة بين النصّ وبين موقف الواقعة ما، سواء كان موقفا حاضرا أم قابلا للاسترجاع>>[3].

6- <<الإعلاميّة: (Informativity) يستعمل للدّلالة على مدى ما يجده مستقبلو النصّ في عرضه من جدّة، وعدم توقف وفي العادة تطبّق هذه الفكرة على المحتوى>>[4].

7- التّناص: (Intertextuality): وهو تداخل النصّوص ويتضمّن العلاقات بين نصّ ما ونصّوص سابقة مرتبطة به ويكون التّناص بوساطة أو من بدون وساطة، فالشّكل المباشر هو توظيف مقطع من نصّ سابق دون وساطة، أي دون إدخال أي تغيّر عليه.

أمّا الشّكل غير المباشر يصعب فيه على القارئ التفريق بين الاقتباس والنصّ الحاليّ، ولا يتعلّق التّناص فقط بإنتاج النصّوص بل عادة ما يستحضر القرّاء نصوصًا سابقة بقصد أو من غير قصد ويوظّفها أيضًا في تأويل النصّ الحاليّ[5].

وقد جاءت هذه المعايير مرافقة لمعياري "الاتّساق والانسجام"، فهما يعدّان من أهمّ معايير النصّيّة بالإضافة إلى ما يتعلّق بمنتج النصّ وهو معيار القصديّة وما يتعلّق بالمتلقّي مثل معيار المقبوليّة.

---

[1]- عزة شبل محمد: علم لغة النص، تقديم: سليمان العطار، مكتبة الآداب، القاهرة، مصر، ط02، 2009م، ص 28.

[2]- المرجع نفسه، ص 34.

[3]- روبير دو بوغراند وولفغانغ درسيلر: مدخل إلى علم لغة النص، دار الكاتب، بيروت، لبنان، ط01، 1992م، ص 184.

[4]- المرجع نفسه، ص 209.

[5]- ينظر: روبير دوبوغراند، النص والخطاب والإجراء، ص 105.

الاتّساق (Cohesion) :

أ- في الوضع اللغويّ :

الاتّساق يأتي في اللّغة من الجذر الثّلاثي (وسق) و<< وَسَقَهُ يَسِقُهُ: جمعه وحمله، ومنه ﴿وَٱلَّيۡلِ وَمَا وَسَقَ﴾ [الاشتقاق-18] وطرده... واتّسق انتظم وواسقه عارضه فكان مثله ولم يكن دونه وناهده>>[1].

ويقول ابن منظور (ت 711هـ) في اللّسان: << وقد وسق اللّيل واتّسق؛ وكلّ ما انظمّ فقد اتّسق والطريق يأتسق ويستق أي ينظم [...] واتّساق القمر امتلاؤه واجتماعه واستواءه ليلة ثلاث عشرة وأربع عشرة وقال الفراء إلى ست عشرة فهين امتلاؤه واتساقه >>[2].

أمّا الخليل بن أحمد الفراهيدي يرى أنّ << الاتّساق: الانضمام والاستواء كاتساق القمر إذا تم وامتلأ فاستوى>>[3].

وممّا سبق يتّضح أنّ مفهوم الاتّساق معجميًّا يدور حول عدّة معانٍ منها: الاكتمال والانتظام والجمع والجمل، واتّساق الأمر أي انتظم واستوى.

ب- في الوضع الاصطلاحيّ :

يعدّ الاتّساق أحد أهمّ المفاهيم الرئيسيّة في البحث اللسانيّ، فهو المتكأ الأوّل الذي يعتمده الباحثون في فهم النصّوص فهمًا عميقًا وتحليلها، فقد عرّفه العديد من الدّارسين العرب والغرب القدامى منهم والمحدثين.

---

[1]- الفيروز أبادي: القاموس المحيط، تقديم: أبو الوفا الشافعي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط01، 2004م، ص 492.

[2]- ابن منظور: لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، ط03، 2004م، ص 212.

[3]- الخليل بن أحمد الفراهيدي: كتاب العين، تح: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط01، 2003م، 380/04.

عند العرب القدماء:

لقد أجمع العرب قديمًا من بلاغيين ونقّاد ومفسّرين على أنّ أجود الكلام وأحسنه ما كان متناسقا ومتلاحم الأجزاء حتى يحصل الفهم ويتحقّق التّواصل، ومن أشهر من تكلّم في هذه القضية عبد القاهر الجرجانيّ (ت 471هـ) المعروف بنظريته المشهورة "نظرية النظم" التي يؤكّد فيها على أهميّة السّياق في تحديد معاني الألفاظ وأنّ الألفاظ خدم للمعاني فالنّظم عنده هو الّذي جعل الكلام متعلّقا ببعضه البعض وبعضه بسبب من بعض مع توخّي قواعد النّحو.

وحتّى يتحقّق النّظم وتحصيل المزيّة يجب ارتباط الكلام وتناسقه، ويؤكّد ذلك في حديثه عن قول الله تعالى: ﴿ وَقِيلَ يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي وَغِيضَ ٱلۡمَآءُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ وَٱسۡتَوَتۡ عَلَى ٱلۡجُودِيِّۖ وَقِيلَ بُعۡدٗا لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ [هود-44]، إذ يقول عبد القاهر الجرجانيّ: << إنّك لم تحد ما وجدت من المزيّة الظّاهرة والفضيلة القاهرة، إلّا الأمر يرجع إلى ارتباط هذه الكلم بعضها ببعض، وأن لم يعرض لها الحسن والشّرف الآمن حيث لاقت الأولى بالثّانية والثّالثة بالرّابعة وهكذا، إلى أن تستقريها إلى آخرها وأنّ الفضل تناتج ما بينها وحصل من مجموعها >>[1].

فجودة الكلام تحصل بارتباطه وتماسكه وتتابعه، فاللّفظة لا يتّضح معناها إلا بالتّالي تليها أو قبلها، فإذا أخذنا مثال كلمة (ابلعي) مفردة فهي لا تؤدّي من الفصاحة ما تؤدّيه وهي في الآية مقترنة بما قبلها وما بعدها، فالسّياق عنصر مهمّ في بيان معاني الألفاظ ومدى بلاغتها، كما أشار الجرجانيّ إلى بعض أدوات الاتّساق في تعليقه على أبيات للبحتري، يقول: << إذا رأيتها قد راقتك وكثرت عندك، ووجدت لها اهتزازا في نفسك، فعد فانظر في السّبب واستقص في النّظر، فإنّك تعلم ضرورة أن ليس إلّا أنّه قدّم وأخّر

[1]- عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، تعليق: محمود شاكل، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، (د. ط)، (د.ت)، ص 45.

وعرّف ونكّر وحذف وأضمر، وأعاد وكرّر وتوخّى على الجملة وجها من الوجوه التي يقتضيها (علم النّحو) فأصاب في ذلك كلّه، ثم لطف موضوع صوابه وأتى مأتي يوجب الفضيلة >>[1].

فالتّكرار والحذف والإضمار والتقديم والتأخير من أهمّ الوسائل التي تحقّق الاتّساق في النصّ وكلّ ذلك بمراعاة ما يقتضيه علم النّحو، وبهذا تحصل الفضيلة.

وفي عيار الشّعر "**لابن طباطبا العلويّ**" (ت 322هـ) سطور توضّح اهتمامه بدراسة النصّوص وفق المفاهيم اللّسانيّة الحديثة، إذ يرى أنّ << أحسن الشّعر ما ينتظم القول فيه انتظاما يتسق به أوله مع آخره على ما ينسقه قائله، فإن قدم بيت على بيت دخله الخلل كما يدخل الرّسائل والخطب إذا نُفض تأليفها [...] كالأشعار التي استشهدنا بها في الجودة والحسن واستواء النظم، لا تناقض في معانيها ولا وهي في مبانيها، ولا تكلّف في نسجها، تقتضي كلّ كلمة ما بعدها ويكون ما بعدها متعلّقا بها مفتقرا إليها>>[2].

وابن طباطبا يعدّ الاتّساق شرطا أساسيّا لجودة الشّعر، فأحسن الشّعر عنده ما كان قوله منتظمًا متّسقًا لا خلل بين أبياته، فتكون القصيدة ككلمة واحدة مترابطة الأجزاء، وهذا لا يتحقّق إلّا بتعلّق الكلمات ببعضها واستواء مبانيها وتجانس معانيها.

ومن القدماء أيضا من تحدّث عن أهميّة السّبك الجيّد في الشّعر خاصّة، نجد "**الآمديّ**" (ت520هـ) الذي يؤكّد على أهميّة الرّبط بين المفردات في الشّعر، يقول: << إذا جاء لطيف المعاني في غير بلاغة ولا سبك جيد ولا لفظ حسن، كان ذلك مثل الطّراز الجيّد على الثّوب الخلق، أو نقش العبير على خد الجارية القبيحة الوجه>>[3].

فالآمدي يرى أن لا فائدة من حسن المعاني إن لم تكن الألفاظ متلاحمة.

---

[1]– عبد القاهر الجرجاني: دلائل الاعجاز، ص 58.

[2]– ابن طباطبا العلوي: عيار الشعر، تح: عباس عبد الساتر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط02، 2005م، ص 131.

[3]– الآمدي: الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري، تح: أحمد صقر، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط04، (د.ت)، ص 425.

والقول إنّ نظرة القدماء إلى الشّعر تجاوزت الجملة الواحدة إلى نطاق الذّهن، حيث وردت في مصنّفاتهم إشارات متفرّقة إلى نحو النصّ وإلى أهميّة الرّوابط في تحقيق اتّساق أبيات القصيدة.

عند العرب المحدثين:

يشتمل حقل لسانيات النصّ على عدّة مفاهيم ومصطلحات يقوم عليها هذا العلم، ويمثل كلّ منها جانبا من جوانبه.

ويعدّ مصطلح **الاتّساق** (Cohesion) أو التّماسك النصّيّ أو التّرابط اللفظيّ من أهمّ هذه المصطلحات، فعلى الرّغم من اختلاف التسمية والتّرجمات إلّا أنّها تصبّ جميعا في معنى واحد، ولأهميته –الاتّساق– في هذا المجال فقد حظي بانكباب الدّارسين عليه خاصّة عند العرب، حيث يعرّفه "**محمّد خطابي**" بأنّه ذلك << التّماسك الشّديد بين الأجزاء المشكّلة لنصّ/ خطاب ما، ويهتمّ فيه بالوسائل اللّغويّة (الشكلية) التي تصل بين العناصر المكوّنة لجزء من خطاب أو خطاب برمّته >>[1].

فالاتّساق هو التّماسك والتّرابط بين أجزاء الخطاب، فهو يتمثل من خلال الوسائل اللغويّة اللفظيّة التي تربط بين هذه الأجزاء.

وقد أصبح الاتّساق واجب الحضور مع كلّ نصّ، إذ يعتبر الرّكيزة الأساسيّة فيه، فهو << معيار يهتمّ بظاهر النصّ ودراسة الوسائل التي تتحقّق بها خاصيّة الاستمرار اللفظيّ >>[2]؛

إذ يتأسّس على فكرة الرّبط اللفظيّ في الشّكل الظاهريّ للنصّ، فهو يتمثل في دراسة الأدوات والوسائل التي تحقّق تتابع الجمل والكلمات في النصّ وفق قواعد النّحو.

<< ويختصّ معيار السّبك بالوسائل التي تتحقّق بها خاصيّة الاستمراريّة في ظاهر النصّ (**Surface text**) ونعني بظاهر النصّ الأحداث اللغويّة التي تنطق بها أو تسمعها في

[1]– محمد خطابي: لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، ص 05.

[2]– أحمد عفيفي: نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي، ص 90.

تعاقبها الزّمنيّ [...] وهذه الأحداث أو المكوّنات ينتظم بعضها مع بعض تبعا للمباني النحويّة، ولكنّها لا تشكّل نصّا إلّا إذا تحقّق لها من وسائل السّبك ما يجعل النصّ محتفظا بكينونته واستمراريته>>[1].

فالاتّساق يحافظ على استمراريّة النصّ، وذلك من خلال تحقيق التّلاحم بين المفردات والجمل ولولا الاتّساق لأصبح النصّ مجرّد تجميع للجمل وتراكيبها.

ويمكن إجمال القول في أنّ الاتّساق هو عنصّر جماليّ متمثّل في وجود قرائن لفظيّة تربط عناصر النصّ من جمل ومفردات وعبارات ويتحقّق من خلال عدّة وسائل سنفصل الحديث فيها لاحقا.

عند الغرب:

إنّ بداية ظهور مصطلح الاتّساق كانت مع هاليداي ورقية حسن في كتابهما (الاتّساق في الإنجليزية) **(Cohesion in English)** وبعدها توالت الدّراسات فيه إلى يومنا هذا، ومن أبرز من تطرّق إلى هذا المصطلح زتسيسلاف وأورزيناك إذ تحدّث عنه كشرط أساسيّ للتفريق بين النصّوص، حيث << تفترق النصّوص عن مجرّد مجموعات لأيّ عدد من الجمل من خلال ظاهرة التّماسك الدّلاليّ **(Kohesiong)** فالنصّ حسب هليش هو تتابع متماسك من الجمل (على نحو أدقّ من الوحدات النصيّة **(Textemen)**>>[2].

فالنصّ يتمايز عن كونه تراكم من الجمل بالتّماسك اللفظيّ والدّلاليّ، فهو تلك الرّوابط بين الجمل التي تحقّق التّوافق في النصّ. << وينشأ التّماسك النّحويّ للنصّ من خلال تلك الوسائل مثل: البدائل الضميريّة أو بدائل الصيغ [...] ووسائل مثل الإحالة إلى مذكور

---

[1]– سعد مصلوح: نحو أجرومية النص الشعري: دراسة في قصيدة جاهلية، مجلة فصول، مج10، ع12، مصر، 1991م، ص 154 .
http://www.hamassa.com. , 03 /12/2021 ,47: 23

[2]– زتسيسلاف واورزنياك: مدخل إلى علم النص، مشكلات بناء النص، تر: سعيد حسن بحيري، مؤسسة المختار، القاهرة، مصر، ط01، 2003م، ص 54.

سابق (**Anaphara**) تعبيرات تشير إلى سابق، مثل: ولذلك وبرغم ذلك والإحالة إلى مذكور لاحق (**Kataphara**) (تعبيرات تشير إلى لاحق)، مثل: ما يأتي (ما يلي) >>[1].

فقد أشار هلبش إلى أهمّ وسائل التّماسك في النصّ كالبدائل الضميريّة والإحالة التي تنقسم إلى إحالة على سابق وإحالة إلى لاحق.

أمّا أشهر تعريف فهو الذي أورده مايكل هاليداي ورقية حسن:

«the consept of cohesion is a semantic one ; it refers to relations of meaning that exist within the the text , and that define it a text

Cohesion occurs where the INTERPRETATION of some element in the discourse is dependent on that of anathor »[2]

إذ يتّضح أنّ مفهوم الاتّساق دلاليّ يعود على العلاقات المعنويّة المتواجدة في النصّ والتي تعرفه كنصّ أي تميّزه عن غيره من أشكال التأويل، ويتجلّى الاتّساق عند تأويل عنصر أو جزء ما في النصّ، فهذا يستدعي بالضّرورة الاعتماد على عنصر آخر ما قبله أو بعده إذ لا يمكنه فهم الأوّل إلّا بالرّجوع إلى الأوّل.

وسائل الاتّساق:

تعدّدت واختلفت آراء الباحثين حول أدوات الاتّساق، لكنّ هذا لا يمنع من تحديد وسائل رئيسيّة يشترك فيها الجميع.

وانطلاقا من دراسة –عزّة شبل محمد– لعناصر الاتّساق التي حدّدها مايكل هاليداي ورقيّة حسن اتّبعنا هذا التقسيم:

1– الرّبط المعجميّ[3]:

[1]– جرهارد هلبش: تطور علم اللغة منذ 1970م، تر: سعيد حسن بحيري، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، مصر، ط 01، 2007م، ص 242.

[2]– Halliday M.A.K and R. Hassan, Cohesion in English, Longman, London, 1976, P 04.

[3]– ينظر: رزيق بوزغاية، ورقات في لسانيات النص، المثقف للنشر والتوزيع، باتنة، الجزائر، ط01، 2018م، ص 72.

يتشكّل هذا النوّع من خلال وسيلتي: التكرار والتّضام. ويتمثل في تكرار وإيراد الوحدات المعجميّة في أكثر من موضوع في النصّ، والمراد بالتّكرار إعادة الكلمات أو ما يدور في حقلها الدّلاليّ في جمل مختلفة من النصّ الواحد، وهو إحدى علامات الجمال الأدبيّ، ويعرّفه محمّد خطابي بأنّه: << شكل من أشكال الاتّساق المعجميّ يتطلّب إعادة عنصر معجميّ أو ورود مرادف أو شبه مرادف له أو عنصرا مطلقا أو اسما عاما >>[1]. فهو بالمعنى العام الإعادة ويراد به التكثير في الأفعال ومن أمثلته تكرار حرف الواو في قول عبد القادر عميش:

<< **وطارت، حامت، روحي بعيدا بين الغيم**

واهتز الجسد، شطحا طريا، حبا، عشقا.

وتوحد في الحلم >>[2].

فتكرار حرف الواو في الأبيات الثّلاثة يدلّ على الرّبط والتّماسك، كما يفيد التّواصل والاستمرار في الكلام.

وتتكرّر كلمة (مطر) في أنشودة المطر لبدر شاكر السيّاب :

<< مطر

مطر

مطر

وكم ذرفنا ليلة الرحيل، من دموع

ثم اعتللنا خوف أن نلام بالمطر

مطر

مطر

[1]– محمد خطابي: لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، ص 24.

[2]– صباح عبابسة: جماليات التكرار في ديوان " عفوا... سأحمل قدري وأسير " لعبد القادر عميش، إشراف: لمياء عيطو، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر، جامعة العربي بن مهدي، أم البواقي، الجزائر، 2015م– 2016م، ص 47.

ومنذ أن كنا صغارا، كانت السماء

تغيم في الشتاء

ويهطل المطر

وكل عام حين يعشب الثرى نجوع

ما مر عام والعراق ليس فيه جوع

مطر

مطر>>[1]

لتعطي نغما موسيقيّا ودلالات رمزيّة مختلفة باختلاف المقاطع في القصيدة.

التّضام :

وهو شكل من أشكال التّماسك النصّيّ يتمثّل في مجموع العلاقات بين الكلمات <<وهو توارد زوج من الكلمات بالفعل أو بالقوة نظرا لارتباطها بحكم هذه العلاقة أو تلك>>[2].

فهو ورود لفظتين تحكمها علاقة تلازم في الحضور، فاستعمال لفظة يستلزم استعمال لفظة أخرى متعلّقة بها، لأنّ كلّا منهما متمّمة للأخرى، وبها يكتمل المعنى، ومن أشكال التّضام نجد علاقة التّضاد التي تعمل على إيضاح المعاني بأضدادها، مثال توظيف لفظتي (تبتئس/ اغتبطت) في قول الشنفرى:

فإن تبتئس بالشنفرى أم قسطل لما اغتبطت بالشنفرى قبل أطول[3].

فوجود لفظ تبتئس استدعى حضور لفظة اغتبطت لإيضاح المعنى.

---

[1]– بدر شاكر السياب: أنشودة المطر، مؤسسة هنداوي، القاهرة، مصر، (د.ط)، 2012م، ص 123.

[2]– محمد خطابي، لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب، ص 25.

[3]– عمرو بن مالك الشنفرى: ديوان الشنفرى، تح: إميل بديع يعقوب، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط02، 1996م، ص 67.

2- الرّبط النّحويّ:

وهو أهمّ وسائل التّرابط اللّفظيّ ويعتمد على عدّة قرائن نحويّة، مثل: الحذف، الاستبدال، الرّبط والإحالة.

2-1 الحذف :

ونعني بالحذف القطع والإسقاط <<وحذف الشّيء: إسقاطه يقال حذفت من شعري ومن ذنب الدّابة أي أخذت>>[1].

وهو غياب عنصّر نحويّ في عبارة ما وحضوره في أخرى، ويكون بسبب طول الكلام، أو لكثرة الاستعمال أو للضّرورة الشّعريّة أو لأسباب صرفيّة مثل التقاء ساكنين وتوالي الأمثال وحذف حروف العلّة استثقالا نحو: **وقف يقف** بدلا من يوقف.

والحذف من أهمّ الظّواهر اللّغويّة التي تكثر في اللّغة العربيّة خاصّة أنّها –اللّغة العربيّة – تميل إلى الإيجاز والاختصار.

ومن أمثلته في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿ **وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِى كُنَّا فِيهَا وَٱلْعِيرَ ٱلَّتِىٓ أَقْبَلْنَا فِيهَا ۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ** ﴿٨٢﴾ ﴾ [يوسف- 82]، فقد حذف المضاف وحلّ المضاف إليه مكانه، والتقدير: واسأل أهل القرية، فتغيّر المعنى تبعا لهذا التقدير.

2-2- الاستبدال :

الاستبدال من الجذر اللّغويّ (بدل)، والتبديل هو التغيّر، نقول استبدلت الذّهب بالفضّة << والإبدال، هو أن يجعل حرف موضع حرف آخر لدفع الثقل >>[2].

فهو بمعنى تعويض حرف بحرف آخر، ويكون في النّصوص بتعويض عنصر لغويّ بعنصر آخر، فهو يتمّ على المستوى النّحويّ التركيبيّ، فتكون بذلك العلاقة بين المستبدِل

---

[1]- أبو نصر إسماعيل الجوهري: الصحاح، تاج اللغة وصحاح العربية، تح: محمد تامر، دار الحديث، القاهرة، مصر، (د.ط)، 2009م، ص 233.

[2]- الشريف الجرجاني: معجم التعريفات، تح: محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة، القاهرة، مصر، (د.ط)، (د.ت)، ص 09.

والمستبدَل علاقة بين عنصر سابق وعنصر لاحق، فمثلا قولنا (كتابي ممزّق عليّ أن أشتري واحدا جديدا)، فالكتاب حاضر في الجملتين لكن الصّفة في الجملة الأولى تختلف عن الصّفة في الثّانية.

ويرد الاستبدال بكثرة خاصّة في النصّ القرآنيّ، إذ نلحظ كثيرا استعمال لفظة (رب) بدل اسم الجلالة (الله) في عدّة أبيات منها قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ۝١ ﴾ [النساء-01].

2-3-الإحالة :

تعدّ الإحالة من أهمّ الوسائل التي تحقّق التّرابط اللّفظيّ داخل النّصوص، خاصّة النصّ القرآني، إذ لها أثر كبير في الكشف عن وجوه فصاحته وبلاغته وتحديد جوانب إعجازه وبيانه.

أ- الإحالة في الوضع اللّغويّ :

الإحالة مصدر أحال، وقد ورد في المعاجم العربيّة تحت مادة (حول) << والمحال من الكلام ما عدل به عن وجهه وحوّله جعله محالا، وأحال: أتى بمحال، ورجل محوال: كثير محال الكلام، وكلام مستحيل: محال>>[1].

وقد ورد مصطلح الإحالة في الكشّاف بمعنى التغيّر والتحويل (Transformation) وهي: <<عند الحكماء عبارة عن تغيّر الشّيء في الكيفيات كالتسخين والتبريد ويلزمها الاستجابة كالتسخين والتبريد على ما يعمّ ذلك، وتغيير صورة الشّيء أي حقيقته وجوهره المسمّى بالتكوين والإفساد ويلزمها الكون والفساد>>[2].

---

[1] - ابن منظور: لسان العرب، 186/11.

[2]- محمد علي التهاوي: كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، تح: علي دحروج، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، لبنان، ط01، 1996م، ص 106.

أمّا في الصّحاح << حال عن العهد: حؤولا: انقلب وحال لونه أي تغيّر واسود، وحال الشيء بيني وبينك، أي: حجز، وحال إلى مكان آخر أي: تحوّل، وحال الشّخص، أي تحرّك وكذلك كلّ متحوّل عن حاله >>[1].

وعليه فإنّ المعنى المعجميّ للإحالة يدور حول التغيّر والانتقال من وضع إلى وضع ومن مكان إلى آخر ومن حال إلى حال، ومنها الكلام المحال أي المستحيل حدوثه وتصديقه.

ب- الإحالة في الوضع الاصطلاحيّ :

الاحالة عند العرب القدامى:

لم تكن قضايا اللّسانيات الحديثة غائبة عن ذهن العرب القدامى، فقد زخر التراث العربيّ بدراسات شاملة في اللّغة والصوتيات.

وإن لم تذكر المصطلحات الحديثة بمسمّياتها صراحة لكنّها كانت حاضرة بقوّة بين ثنايا أفكارهم خاصّة فكرة الإحالة التي أدرجوها في حديثهم عن الضّمائر وأسماء الإشارة والموصولات.

ومن النّحاة نجد سيبويه (ت 180هـ) يوظّف لفظ الإحالة بمعناه المعجميّ وهو العدول عن وجه الصّواب في الكلام، وذلك من خلال تقسيمه للكلام تحت باب (الاستقامة من الكلام والإحالة)، إذ يقول: << فمنه مستقيم حسن، ومحال، ومستقيم كذب، ومستقيم قبيح، وما هو محال كذب. فأمّا المستقيم الحسن، قولك: أتيتك أمس وسآتيك غدا. وأمّا المحال فأن تنقض أوّل كلامك بآخره فتقول: أتيتك غدا، وسآتيك أمس؟. أمّا المستقيم الكذب فقولك: حملت الجبل، وشرب ماء البحر ونحوه.

[1]- أبو نصر إسماعيل الجوهري: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ص 295.

أمّا المستقيم القبيح فأن تضع اللفظ في غير موضعه، نحو قولك: قد زيدا رأيت، وكي زيد يأتيك، وأشباه ذلك. وأمّا المحال الكذب فأن تقول: سوف أشرب ماء البحر أمس>>[1].

فالكلام المحال عند سيبويه هو تناقض أوّله مع آخره، وبذلك يصبح فاسدا فلا يؤدّي المعنى ولا يحقّق إفهام المخاطب. كما نجده في موضع آخر يتحدّث عن الإضمار، وذلك في باب (ما لا يعمل في المعروف إلا مضمرا) فيقول: << وما يضمر لأنه يفسره ما بعده ولا يكون في موضوعه مظهر، قول العرب: إنّه كرام قومك وإنّه ذاهبة أمتك، فالهاء إضمار للحديث الذي ذكرت بعد الهاء كأنّه في التقدير، وإن كان لا يتكلّم به- قال: إنّ الأمر ذاهبة أمتك وفاعلة فلانة، فصار هذا الكلام كلّه خيرا للأمر، فكذلك ما بعدها هذا في موضع خبره>>[2].

أمّا من البلاغيين فنجد عبد القاهر الجرجاني (ت 471هـ) من أبرز من بحث في موضوع الاتّساق وعناصره من خلال نظريّة النظم القائمة على تعليق الكلم بعضها ببعض، فأحسن الكلام ما كان مترابطا ومتلاحما من خلال ترابط الجمل المكونة للنصّ مع توخّي معاني النّحو، فيقول في فصل (الذي) << اعلم أنّ لك في (الّذي) علما كثيرا وأسرارا جمّة [...] فمن ذلك قولهم: إنّ (الذي) اجتلب ليكون وصلة إلى وصف المعارف بالجمل، كما اجتلب (ذو) ليتوصّل به إلى الوصف بأسماء الأجناس، يعنون ذلك أنك تقول: مررت بزيد الذي أبوه منطلق)، وبالرّجل الذي كان عندنا أمس، فتجدك قد توصّلت (بالذي) إلى أن أتيت زيدا من غيره بالجملة التي هي قولك (أبوه منطلق) ولولا (الذي) لم تصل إلى ذلك>>[3].

---

[1]- سيبويه: الكتاب، تح: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط03، 1988م، 01/25-26.

[2]- المرجع السابق، 02/176.

[3]- عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، ص 199.

فقد أوضح الجرجانيّ دور الاسم الموصول (الذي) وصلته في إيضاح المعنى وتحقيق التّرابط والتّماسك، فهي من الأدوات التي تعمل على توضيح وتحسين الكلام، وهي ما تطرّق له المحدثون ضمن الإحالة ودورها في تحقيق الاتّساق.

ومن الشّارحين أيضا من قدّم إضاءات بارزة في هذه القضيّة، حيث نجد التبريزيّ (ت 502هـ) الذي كانت له ومضات ساهمت في شرح الدّواوين، نجده معلّقا على قول المتنبّي :

<< **أنام ملء جفوني عن شواردها ويسهر الخلق جرّاها ويختصم**

[...] والهاء في "شواردها" عائدة إلى "كلماته" ويحتمل أن يكون أراد بالكلمات جمع كلمة التي هي اللّفظة الواحدة وهذا أشدّ في المبالغة من سواه >>[1]. فالهاء تعود على كلماته الموجودة في البيت السابق له :

أنا الذي نظر الأعمى إلى أدبي وأسمعت كلماتي من به صمم

فهي إحالة نصّية سابقة (قبليّة).

الاحالة عند العرب المحدثين:

يتألّف النصّ أساسا من عدد من الجمل يربطها روابط منطقيّة معجميّة ونحويّة لتقيم بينها علاقات داخليّة، تعمل على تحقيق الانسجام والتّماسك الدّلاليين، ومن هذه الرّوابط "الإحالة" التي درسها العرب عن كثب – ضمن باب الضّمائر والإشارة– وقدّموا فيها بحوثا ودراسات متميّزة.

يقدّم محمّد خطابي مفهوما للإحالة ضمن عرضه لآراء الباحثين "هاليداي ورقية حسن" فيعتبر الإحالة مجموعة من العلاقات الدّلاليّة <<تعتبر الإحالة علاقة دلاليّة ومن ثمّ لا تخضع لقيود نحويّة، إلّا أنها تخضع لقيد دلاليّ، وهو وجوب تطابق الخصائص الدّلاليّة بين العنصر المحيل والعنصر المحال إليه.

[1]– يحي بن علي التبريزي: الموضح في شعر أبي الطيب المتنبي، تح: خلف رشيد نعمان، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، العراق، ط01، 2004م، 517/4.

وتنقسم الإحالة إلى نوعين رئيسيين: الإحالة المقاميّة والإحالة النصيّة، وتتفرّع الثّانية إلى إحالة قبليّة وإحالة بعديّة >>[1].

فالإحالة عنده تخضع لقيود نحويّة بقدر ما تخضع لقيود دلاليّة توجب تطابق خصائص الدّلالة بين العنصر المُحيل والعنصر المحال إليه، ويقسّمها إلى نوعين رئيسيين هما: إحالة مقاميّة وإحالة نصيّة التي تنقسم بدورها إلى إحالة قبليّة وبعديّة.

أمّا أحمد عفيفي فيقدم مفهوم الإحالة عند "جون ليونز" في سياق حديثه عن المفهوم التقليديّ للإحالة. يقول جون ليونز: << إنها العلاقة القائمة بين الأسماء ومسمياتها >>[2]. فهي علاقة مرجعيّة بين الاسم والمسمّى.

وهناك منْ تطرّق إلى باب الإحالة في حديثه عن الضّمائر << والضّمائر التي نعنيها في بحثنا ليست ضمائر المتكلّم والمخاطب والغائب فحسب، بل تشمل كذلك ضمائر الإشارة وضمائر الموصول، إذ تقوم الإشارة والموصولات بنفس وظيفة الضّمائر من حيث الإشارة المرجعيّة والرّبط، فالإشارة قد تكون إلى سابق أو لاحق أو خارج النصّ، وكذا الموصول في مثل: (رأيت الرّجل الّذي تحدّث عنه النّاس) فـــ "الذي" يشير أو يرجع إلى الرّجل مرجعيّة قبليّة، ومع ذلك يرتبط بما بعده عن طريق الضّمير الواجب وجوده في جملة الصّلة >>[3].

فالضّمائر هنا تشمل أيضا أسماء الإشارة والأسماء الموصولة في مثال: رأيت الرّجل الذي تحدّث عنه النّاس "فالذي" تعود على الرّجل، فهي إحالة قبليّة داخل النصّ، وقد ذكر إبراهيم الفقّي الإحالة بمصطلح المرجعيّة.

---

[1]- محمد خطابي: لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، ص 17.

[2]– أحمد عفيفي: نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، مصر، ط01، 2001م، ص 116.

[3]– صبحي إبراهيم الفقي: علم لغة النص بين النظرية والتطبيق، دار قباء، القاهرة، مصر، ط01، 2000م، ص 138.

الاحالة عند الغرب:

« There are certain items in every language which have the property of reference, in the specific sense in which we are using the term here, that is to say , instead of being interpreted sementically in their own right, they make reference to somthing else for their interpretation

In english these items are personals, demonstratives and comparatives

a/- three blind mice ,three blind mice see how they run !see how they run !

b/- doctor foster went to glousester in a shower of rain he stepped in a puddle right up to his middle and never went there again

c/- there were two werns upon a tree .

another came and there were three.

In (a) ,they refers to (three blind nice) , in (b) there to (Glourester) , in (c) an other refers to (werns) »[1]

لكلّ لغة من اللّغات خاصيّة الإحالة التي لا تعطي المعنى في ذاتها، بل تحيل إلى مرجع يفسّرها.

وتتمثل هذه العناصر في اللّغة الإنجليزيّة في الضّمائر وأسماء الإشارة وأدوات المقارنة.

ففي المثال الأول (a) تحيل (They) إلى (Three blind mice).

وفي المثال الثاني (b) تعود (There) على (Gloucester).

والمثال الثالث (c) (Onother) تعود على (werns).

<< إنّ النّظرة الدّلاليّة التقليديّة للإحالة هي تلك النّظرة التي ينظر فيها إلى علاقة الإحالة على أنّها ترابط العبارات في النصّ بكيانات في العالم في حين أنّ علاقة الإحالة على أنّها

[1] Halliday :MAK and R.Hassan , cohesion in English ,OP.Cit ,p31

ترابط العبارات في النصّ بكيانات في العالم في حين أنّ علاقة الإحالة داخل النصّ تربط العبارات في أجزاء مختلفة من النصّ>>[1]

فالإحالة هي عنصر مهمّ يحقّق الترابط بين عناصر النصّ وعباراته وأجزائه كما تربط عبارات النصّ بسياقات أخرى خارجه.

ج- أنواع الإحالة :

يقسّمها العالمان "هاليداي ورقية حسن" إلى نوعين رئيسيين:

1- إحالة خارجيّة (Exophora)**:** وهي الإحالة السّياقيّة، مرجعها في المقام، أي خارج النصّ. من ذلك قوله تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ وَمَا ۝٤١ هُوَ بِقَوۡلِ شَاعِرٖۚ قَلِيلٗا مَّا تُؤۡمِنُونَ ۝٤٢ ﴾ [الحاقة:40-41]. فالهاء في (إنّه) و(هو) يعودان على القرآن الكريم، والقرآن الكريم ليس مذكورا في الآيتين فهو خارج النصّ ويفهم من السّياق.

2- إحالة داخليّة (نصيّة) Endophora :

وهي الاحالة التي يكون مرجعها داخل النص, لذلك سميت نصية وتنقسم الى نوعين:

2-1- إحالة قبليّة :

أي عندما يحيل العنصر الإشاريّ إلى مرجع ذكر قبله في النصّ نحو قوله تعالى: ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ۝٥٤ ﴾ [الأعراف-54]. فالضّمائر الظّاهرة والمستترة: الذي، هو (في خلق)، هو (في استوى) كلّها عائدة على لفظ الجلالة السّابق ذكره في الآية، إذن فهي حالة نصّيّة قبليّة.

[1]- ج .ب. براون وج يول: تحليل الخطاب، تر: محمدلطفي الزليطي ومنير التريكي، النشر العلمي والمطابع، المملكة العربية السعودية، (د.ط)، 1998م، ص244.

2-2- إحالة بعديّة :

أي أنّ المحال إليه يذكر لاحقا في النصّ، بعد المحيل، مثال قوله تعالى: ﴿ **قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١** ﴾ [الإخلاص-01]. فالضّمير (هو) يحيل إلى لفظ الجلالة (الله) المذكور بعده فهي إحالة نصّيّة بعديّة.

2-4 الرّبط وأدواته :

أ- الرّبط في الوضع اللّغويّ :

يعرّف التّهانويّ الرّابطة في اللّغة هي << كلّ ما يربط به الشّيء... والرّابطة هو المرشد الكامل الذي يربط المسترشد بالحقّ تعالى، كذا في كشف اللّغات، والرّابطة عند المنطقيين هي الشّيء الدّالّ على النّسبة والشّيء يشتمل اللّفظ وغيره، فيشمل التعريف الحركات الإعرابيّة والهيئة التركيبيّة، حيث قيل إنّ الرّوابط في لغة العرب إمّا الحركات الإعرابيّة أو ما يجري مجراها من الحروف أو الهيئة التركيبيّة >>[1].

فالرّابطة هي كلّ ما يربط به الشّيء، وفي اللّغة العربيّة يشمل الرّابط الحركات الإعرابيّة وما يجري مجراها من الحروف أو الهيئة التركيبيّة.

<< وربطت الشّيء أربطه، وأربطه أيضا عن الأخفش، أي: شددته>>[2]. فالرّبط هو الشّدّ والإحكام. والرّبط في علم الفلسفة << إحداث علاقة بين مدركين لاقترانهما في الذّهن بسبب ما>>[3].

وكلّ هذه التعريفات مفادها أنّ الرّبط يعني الجمع بين شيئين، والشدّ والإحكام وفي اللّغة يشمل الحركات الإعرابيّة والحروف. وقد ورد في القرآن الكريم بعدّة مشتقات منها قوله تعالى:﴿ **وَلِيَرۡبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمۡ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلۡأَقۡدَامَ ۝١١** ﴾ [الأنفال-11].

---

[1]- محمد علي التهانويّ: كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، ص 838.

[2]- أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ص 420.

[3] - مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، مصر، ط04، 2008م، ص 323.

ب- الرّبط في الوضع الاصطلاحيّ :

الرّبط من أهمّ الوسائل التي تحقّق التّماسك والاتّساق في النصّ، إذ لا تكاد تخلو لغة من الرّبط وأدواته.

الربط عند العرب القدماء:

لم يذكر العرب القدماء مصطلح الرّبط ومفهومه في مؤلفاتهم صراحة، بل نجد إشارات متعدّدة في أبواب متناثرة. فنجد سيبويه يلمّح له في عرضه لكلام الخليل <<وسألت الخليل عن قوله عزّ وجلّ: ﴿ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾ [الروم/36] فقال: هذا كلام معلّق بالكلام الأوّل كما كانت الفاء معلّقة بالكلام الأوّل، وهذا هنا في موضع قنطوا، كما كان الجواب بالفاء في موضع الفعل>>[1]. حيث يشير سيبويه إلى الرّبط من خلال قوله، إذ نجده يوظّف مصطلح معلق، يقصد الرّبط.

كما نجد المبرّد (ت 285هـ) يشير في معرض حديثه، يقول << فالخبر هو الابتداء في المعنى، أو يكون الخبر غير الأوّل، فيكون له فيه ذكر، فإن لم يكن على هذين الوجهين فهو محال. ونظير ذلك: زيد يذهب علامه وزيد أبوه قائم >>[2]. يقصد هنا الرّبط فيشير إليه بالذّكر فالإخبار يحدث بالذكر أي بالضّمير الرّابط.

ولعلّ من أبرز مَنْ تحدّث في باب الرّابط وتماسك أجزاء النصّ، الجرجانيّ الّذي تحدّث كثيرا عن تعلّق الكلام ببعضه وترابطه، حيث يرى << أن لا نظم في الكلم ولا ترتيب، حتى يعلق بعضها ببعض ويبنى بعضها على بعض، وتجعل هذه بسبب من تلك>>[3]. فلا تحصل فائدة الكلام إلّا من خلال نظمه وترتبه، ولا يتحقّق النّظم إلا بربط الكلام وتعليقه وجعله بعضه بسبب من بعض.

---

[1]- سيبويه: الكتاب، ص 63-64.

[2]- المبرد: المقتضب، تح: محمد عبد الخالق عضيمة، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، مصر، ط02،1989م، ص 128.

[3]- الجرجاني: دلائل الإعجاز، ص 55.

الرّبط عند العرب المحدثين :

يعرّف الدكتور **مصطفى حميدة** الرّبط بأنّه: << اصطناع علاقة سياقيّة نحويّة بين طرفين باستعمال أداة تدلّ على تلك العلاقة، وقد يكون أمن لبس فهم الارتباط بين الطرفين المربوطين، وقد يكون أمن لبس فهم الانفصال بينهما وهذا هو ما أقصده بالربط >>[1].

فالرّبط هو علاقة نحويّة بين طرفين في الجملة، يتمّ الرّبط بينهما بواسطة أداة تقيّم العلاقة وتزيل لبس الانفصال بينهما.

أمّا **تمّام حسّان** فيرى أنّ << عود الضّمير من الرّوابط الهامّة في الجملة، ولكنّ الارتباط قد يتمّ بقرائن أخرى فيصبح المعنى واضحا دون حاجة إلى الضّمير الرّابط، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ **وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ شَيۡـٔٗا** ﴾ [البقرة –48] أي (فيه)، وقول بعضهم (مررت بالبرّ قفيز بدرهم) أي (منه) فترخص في الرّابط لضمان الرّبط بدونه أي بقرائن أخرى>>[2].

يتمّ الارتباط بالضّمير الرّابط أو من دونه، فيتّضح المعنى دون الحاجة إلى الضّمير، ويسوق تمّام حسّان مثال قوله تعالى: ﴿ **وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ شَيۡـٔٗا وَلَا يُقۡبَلُ مِنۡهَا شَفَٰعَةٞ وَلَا يُؤۡخَذُ مِنۡهَا عَدۡلٞ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ** ﴿٤٨﴾ ﴾ [البقرة–48]، فنلاحظ غياب الضّمير (فيه) والتقدير: واتّقوا يوما لا تجزى فيه نفس عن نفس شيئا، فالمعنى واضح ومرتبط لا خلل فيه مع غياب الضّمير.

وخلاصة القول: إنّ العرب القدماء كسيبويه والمبرّد والكسائيّ لم يعرفوا مصطلح الرّبط صراحة، بل أشاروا إليه في أبواب متفرّقة، أمّا في اصطلاح المحدثين فهو العودة إلى السّابق، أي عودة ضمير الرّبط على المربوط حتى يتماسك معه، وهناك الرّبط بالأداة التي تجمع بين جزئي الجملة.

---

[1]– مصطفى حميدة: نظام الربط والارتباط في تركيب الجملة العربية، الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان، القاهرة، مصر، ط 01، 1997م، ص 143.

[2]– تمام حسان: اللغة العربية معناها ومبناها، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، ط01، 1994م، ص 238.

أدوات الرّبط :

وهي عشرة، يعدّدها **ابن هشام الأنصاريّ** في كتابه " مغني اللّبيب"، وهي:

1- الضّمير: << وهو الأصل، ولهذا يربط به مذكور كزيد ضربته، ومحذوفًا مرفوعًا نحو (إنّ هذان لساحران) إذا قدر: (لهما ساحران) ومنصوبًا كقراءة ابن عامر في سورة الحديد (وكلّ وعد الله الحسنى) ولم يقرأ بذلك في سورة النّساء، بل قرأ ينصب (كلّ) كالجماعة لأن قبله جملة فعلية وهي (فضل الله المجاهدين) فساوى بين الجملتين في الفعلية بل بين الجمل>>[1].

فالرّبط بالضّمير هو أصل الرّبط، ويكون الضّمير ظاهر كقولنا: (زيد ضربته) فالهاء هنا ضمير متّصل يعود على زيد، حيث زيد مذكور في الجملة، أو محذوفًا مرفوعًا نحو قوله تعالى: ﴿ إِنْ هَٰذَانِ لَسَٰحِرَٰنِ ﴾ [طه-63]. فالتقدير: إنّ هذان لهما ساحران فالمحذوف هنا هو الضّمير "هما" العائد على مرفوع محذوف.

2- الإشارة: << نحو ﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُوا۟ عَنْهَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ ﴾، ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾، ﴿ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾ ﴾>>[2].

فالإشارة هنا متمثلة في أسماء الإشارة في الآيات: **أولئك، أولئك، أولئك.**

- فالأولى تعود على: الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا.
- والثّانية تعود على: الذين آمنوا وعملوا الصّالحات.
- والثّالثة تعود على: السّمع والبصر والفؤاد.

---

[1]- ابن هشام الأنصاري: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تح: مازن المبارك علي حمد الله، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط01، 1964م، ص 551.

[2]- المرجع نفسه، ص 553.

3- إعادة المبتدأ بلفظه: << وأكثر وقوع ذلك في مقام التهويل والتفخيم، نحو (الحاقّة ما الحاقّة)، (وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين) >>[1]. ويتمثل في إعادة ذكر المبتدأ بلفظه كما في الآيات.

4- إعادة المبتدأ بمعناه: << نحو (زيد جاءني أبو عبد الله) إذا كان أبو عبد الله كنية له، أجازه ابو الحسن مستدلا بنحو قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلْكِتَٰبِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴿١٧٠﴾﴾ >>[2]. أي إعادة ذكر المبتدأ ليس لفظا بل ذكر ما في معناه.

5- عموم يشمل المبتدأ: نحو قولنا: محمد نِعْمَ الرجل – فالرّجل عام يشمل محمد.

6- أن يعطف بفاء السّببيّة جملة ذات ضمير على جملة خالية منه أو بالعكس: نحو قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَتُصْبِحُ ٱلْأَرْضُ مُخْضَرَّةً ﴿٦٣﴾﴾ [الحج-63].

الجملة ذات الضّمير **(ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء)**، الفاء السّببيّة. الجملة المعطوفة على جملة ذات ضمير **(تصبح الأرض مخضرة)**.

7- العطف بالواو: << نحو (زيد قام وقعدت هند) بناء على أنّ الواو للجمع، في المفردات لا الجمل >>[3]. فالواو للجمع بين مفردات الجملة حتى تكون متراصّة، وأيضا تجوز للعطف بين الجمل.

8- شرط يشتمل على ضمير مدلول على جوابه بالخبر: ومثاله قولنا: زيد يقوم عمرو وإنّ قام.

9- (ال) النائبة عن الضّمير: نحو قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾﴾ [النازعات-40]. والتقدير: هي مأواه.

10- كون الجملة نفس المبتدأ في المعنى: نحو قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾﴾

[الإخلاص-01].

---

[1]- ابن هشام الأنصاري: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ص553.

[2]- المرجع نفسه، ص 554.

[3]- المرجع نفسه، ص 555.

الفصل الثاني: الاتساق النصي

في سورة الكهف

1- التعريف بالقرآن الكريم

2- التعريف بسورة الكهف

3- الاتساق النصي في سورة الكهف

4- قرينة الربط وأثرها في اتساق سورة الكهف

5- قرينة الإحالة وأثرها في اتساق سورة الكهف

التعريف بالقرآن الكريم :

يعدّ القرآن الكريم المعجزة الخالدة على مرّ الزمن، وقد خص بها الله تعالى نبيه محمد صلى الله عليه وسلم << فهو كلام الله المعجز المنزل على النبي محمد صلى الله عليه وسلم باللفظ العربي المكتوب في المصاحف، المتعبد بتلاوته، المنقول بالتواتر، المبدوء بسورة الفاتحة والمختوم بسورة الناس >>[1].

فهو كلام عربي معجز بألفاظه، نزل على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم في كتاب محفوظ، أوله سورة الفاتحة وآخره سورة النّاس .

وهذه السور لم تنزل دفعة واحدة على الرسول، وإنما نزل<< منجما أي مفرقا على وفق مقتضيات الظروف والحوادث والأحوال، أو جوابًا للوقائع والمناسبات والاستفسارات>>[2].

وقد نزل في شهر رمضان في ليلة القدر، وكانت مناسبات نزوله حسب الظروف والأحوال أو جوابًا على الأسئلة والاستفسارات في مثال نزول سورة الكهف.

التعريف بسورة الكهف:

سورة الكهف هي السورة الثامنة عشر في ترتيب المصحف وعدد آياتها مائة وعشر آيات، وهي من السور المكية << وهي احدى سور خمس بدئت بـــ (الحمد لله) وهذه السور هي ((الفاتحة، الأنعام، الكهف، سبأ، فاطر)) وكلها تبتدئ بتحميد الله جل وعلا وتقديسه والاعتراف له بالعظمة والكبرياء والجلال والكمال >>[3]. وهي من السّور التي تبدأ بحمد الله عز وجل وتقديسه والاعتراف بعظمته .

---

[1] – وهبة الزحيلي: التفسير المنير ،15/1.

[2]– المرجع نفسه، ص17.

[3]– محمد علي الصابوني: صفوة التفاسير، دار القرآن الكريم، بيروت، لبنان، ط4، 1981م، 2/ 181 .

تروي سورة الكهف ثلاث قصص رئيسيّة من روائع القصص القرآنيّ في سبيل تثبيت عقيدة الإيمان وإنذار الكفار.

القصّة الأولى: هي << قصّة ((أصحاب الكهف)) وهي قصّة التضحية بالنّفس في سبيل العقيدة، وهم الفتية المؤمنون الذين خرجوا من بلادهم فرارا بدينهم، ولجئوا إلى غار في جبل، ثم مكثوا فيه نياما ثلاثمائة وتسع سنين، ثمّ بعثهم الله بعد تلك المدّة الطّويلة >>[1].

القصّة الثّانية: وهي<< قصّة موسى مع الخِضر، وهي قصّة التّواضع في سبيل طلب العلم، وما جرى من الأخبار الغيبيّة الّتي أطلع الله عليها ذلك العبد الصّالح ((الخِضر)) ولم يعرفها موسى عليه السّلام حتّى أعلمه بها الخِضر، كقصّة السّفينة وحادثة قتل الغلام، وبناء الجدار >>[2].

وهو ذلك العبد الصّالح الذي أتاه الله من الحكمة والعلم الغزير وأطلعه على الأمور الغيبيّة الّتي كان موسى يجهلها، ووردت قصة التقاء (الخِضر) مع سيدنا موسى عليه السلام، والتّواضع في سبيل طلب العلم، ومن الأمور التي أخبر بها الخِضر موسى: حادثة السّفينة التي خرقها، وقتل الغلام، وحادثة بناء الجدار.

القصّة الثّالثة: وهي قصّة " ذي القرنين " وهو ملك وهبه الله العدل والتّقوى ومكّنه من أن يبسط سلطانه في الأرض، وأن يحكم مشارق الأرض ومغاربها، وما كان من أمره في بناء السدّ العظيم.

وقد ضرب الله أمثلة واقعيّة في سبيل تأييد هدف هذه القصص وهي بيان أنّ الحقّ لا يرتبط بكثرة المال والسّلطان بل بالإيمان الصّحيح والعقيدة المتينة، وذلك في المثال الأوّل

[1]– محمد علي الصابوني: صفوة التفاسير، 181/2.

[2]– المرجع نفسه، 181/2.

وهو قصّة صاحب الجنّتين، والمثال الثاني أنّ الدّنيا فانية وكلّ ما عليها يزول، والمثال الثالث للتكبّر والغرور، ووردت هذه الأمثلة والقصص بغرض الاعتبار منها [1].

سبب نزول السورة [2]

جاء في سبب نزول سورة الكهف أنّه عندما كثر الحديث حول صحّة نبوّة الرّسول صلّى الله عليه وسلّم أرسل كفّار قريش رجلين وهما الفخر بن الحارث وعقبة بن أبي محيط إلى أحبار اليهود ليسألوهم عن أمر محمّد صلّى الله عليه وسلّم، فقال اليهود سلوه عن ثلاث مسائل فإن أخبركم بها فهو نبيٌّ، أوّلها سلوه عن قصّة الفتية الذين ذهبوا فترة طويلة من الزّمن، وسلوه ثانيا عن نبأ الرّجل الحكيم الّذي طاف الأرّض من مشرقها إلى مغربها، وأخيرًا سلوه عن الرّوح ماهي.

فلمّا سألوا النّبي صلّى الله عليه وسلّم عن هذه القصص قال غدًا أجيبكم ولم يقل إنْ شاء الله، ومكث الرّسول صلّى الله عليه وسلّم خمسة عشر يوما على هذه الحال ولم ينزل عليه الوحّي، حتّى اشتّدّ به الحزن والأسف وشقّ عليه ما يقوله أهل مكّة في تكذيبه وتجريحه، فنزل جبريل بسورة الكهف يعاتب فيها الله رسوله وينبّئه تأويل هذه القصص التي سألوا عنها.

فضل سورة الكهف :

سورة الكهف من أكثر السّور فضلا، فهي تسرد قصصًا واقعيّة بأسلوب شائق، عدا عن فضل قراءتها يوم الجمعة وقد <<ورد في فضلها أحاديث متفاوتة، فهي من السّور الّتي نزلت جملة واحدة. روى الديلميّ في مسند الفردوس عن أنس قال :<< نزلت سورة الكهف

[1]– ينظر: محمد علي الصابوني: صفوة التفاسير، 181/2.

[2]– ينظر: جلال الدين السيوطي: أسباب النزول، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، لبنان، ط01، 2002م، ص 168

جملة معها سبعون ألفَا من الملائكة>> [1]. وهذا دليل على عظمتها وعلوّ شأنها، فهي نور لقارئها وعِصمة له من فتنة المسيح الدجّال .

وروى أنّ الرّسول صلّى الله عليه وسلّم قال: << ألا أدلّكم على سورة شيّعها سبعون ألف ملك ملأ عظمتها ما بيّن السّماوات والأرض لتليها مثل ذلك، قالوا: بلى يا رسول الله؟، قال سورة أصحاب الكهف، مَنْ قرأها يوم الجمعة غفر له إلى الجمعة الأخرى وزيادة ثلاثة أيّام وأعطى نورًا يبلغ السّماء ووقّي فتنة الدجّال>> [2].

الاتّساق النّصيّ في سورة الكهف

النصّ ليس مجرّد متواليةٍ لسانية، أو مجموعة كلمات مجتمعة كيفما اتَّفق، وبدون ترتيبٍ وتنظيم، بل هو بناء لسانيٌّ مُحكم، وكما قال برينكر Brinker.H فالنصّ هو: << تتابُع مترابط من الجمل >> [3].

وهو يتطلّب تحقُّق مجموعة من الخصائص أو الشروط الضروريّة ليَستحق اسم "نص"، ومن أهمّ هذه الشروط أو الخصائص ما نجده عند دي بوغراند ودريسلر اللّذين عرَّفا النصّ بأنّه: <<حدَثٌ تواصليٌّ تتحقّق نصيَّته إذا اجتمعتْ له سبعةُ معايير، وهي: الرّبط (الاتّساق)، والتّماسك، الانسجام، والقصديّة، والمقبوليّة، والإخباريّة (الإعلاميّة)، والموقفيّة، والتّناص>> [4].

إنّ هذه المعايير هي ما يُميِّز النص عن اللانصّ، فهي التي تُحقِّق نصيّة النّصوص، وبذلك تكون النصيّة مجموعةً من السّمات التي تجعل ملفوظًا ما أو متتالية لغوية نصًّا، وتنقسم هذه المعايير إلى معايير مرتبطة بالنصّ في ذاته (الاتّساق والانسجام)، ومعايير مرتبطة بالمؤلّف والمتلقي (القصديّة والإعلامية والمقبوليّة)، ومعايير مرتبطة بالسّياق

---

[1]– محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية لنشر، تونس، (د. ط)، (د . ت)، 242/15.

[2]– أبو عبد الله بن أبي بكر القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط01، 2006م، 197/13.

[3]– ينظر: سعيد بحيري: علم لغة النصّ: المفاهيم والاتجاهات، مكتبة لبنان ناشرون، لونجمان، ط 1، 1997م، ص 103.

[4]– المرجع نفسه، ص 146.

الخارجي (الموقفيّة والتّناص). وهذه الدّراسة تروم الكشف عن مظاهر اتّساق النصّ القرآنيّ في سورة " الكهف " من خلال قرنتي الرّبط والإحالة.

الاتّساق هو: << مفهوم دلاليّ، إنّه يحيل إلى العلاقات المعنويّة القائمة داخل النصّ، التي تحدّده كنصّ>>[1]، وبعبارة أبسط هو تنظيم المعاني داخل النصّ الواحد تقويتها عن طريق أدوات لغويّة تساهم في ذلك التنظيم من خلال ربط الجمل المكوّنة للنصّ ربطا وثيقا يرقى بالنصّ إلى درجة النصية، وغالبا ما يتحقّق ذلك التّماسك النصّيّ عن طريق مبدأ التبعيّة [2]، إذ لا يمكن لعنصر أن يفهم إلّا بوجود عنصر آخر إمّا قبله أو بعده باعتبار أنّ العنصرين يشرحان بعضيهما أو يحيلان إلى بعضيهما هكذا: << تسهم كلّ جملة في فهم ما يليها من جملة أخرى، كما تسهم المتقدّمة في فهم المتأخّرة، فلا يتحقّق من خلال معاني الأجزاء فحسب بل من خلال تأثر هذه المعاني في بنية كليّة كبرى>>[3]، وعلى هذا الأساس الدّلاليّ يتحقّق الاتّساق في النصّ.

وللاتّساق النصّي أدوات أو وسائل، نذكر منها[4]: الإحالة **Référence**، الرّبط (الوصل) **Conjonction**، الاستبدال **Substitution**، الحذف **Elimination**، الاتّساق المعجميّ **Cohésion Lexicale**.

والرّبط << علاقة تصطنعها اللغة اصطناعا لفظيّا بطريق الأدوات والضمائر، إمّا لسدّ ثغرة تنشأ من انفصال غير مرغوب فيه، وإمّا لفصم عروة تنشأ من ارتباط غير مرغوب فيه>>[5]. أو هو<< قرينة لفظيّة على اتّصال أحد المترابطين بالآخر>>[6]، والملاحظ أنّ الرّبط الرّبط بين المفردات والجمل يكون لفظيّا ومعنويّا، وقرينة الرّبط تقتصر على الرّبط

---

[1]– محمد خطابي: لسانيات النص، ص 15.

[2]– ينظر: منذر عياش: العلاماتية وعلم النص، ص 111.

[3]– عزة محمد: علم لغة النص، مكتبة الآداب، القاهرة، مصر، ط 1، 2007م، ص 189.

[4]– ينظر: دي بوغراند: 1989م، ص 299. محمد خطابي: 1991م، ص 16.صبحي ابراهيم الفقي: 2000م، 1/ 113.

[5]– مصطفى حميدة، نظام الارتباط والرّبط في تركيب الجملة العربية، ص 144.

[6]– تمام حسان: اللّغة العربيّة معناها ومبناها، ص 213.

اللفظيّ، أمّا الرّبط المعنويّ فإنه يدخل في باب القرائن المعنويّة، كالإسناد، والتعدية، وغيرهما[1].

وتتحدّد وظيفة الرّبط بإيجاد التماسك بين الكلمات داخل الجملة الواحدة، ثمّ بين الجمل داخل الفقرة الواحدة، ثمّ بين الفقرات داخل النصّ، فيبدو الكلام متماسكا لفظا ومعنى[2]. من هنا كان للرّبط عناية اللسانيين المحدثين حيث عُدّ الرّبط أهمّ مظهر لما عُرف في الدّراسات المعاصرة بـــ (نحو النصّ)[3].

واللّغة العربيّة تلجأ إلى الرّبط اللفظيّ << حين تخشى اللّبس في فهم الانفصال بين معنيين، أو اللّبس في فهم الارتباط بين معنيين، والواسطة اللفظيّة إمّا أن تكون ضميرا بارزا منفصلا أو متّصلا وما يجري مجراه من العناصر الإشاريّة، كالاسم الموصول واسم الإشارة، وإمّا أن تكون بأداة من أدوات الرّبط >>[4].

- **قرينة الرّبط وأثرها في اتّساق النصّ في سورة الكهف:**

يعتبر الرّبط بالأداة أشهر أنواع الرّبط في اللّغة العربيّة الفصحى، نظرا لما تحدثه الأداة من أثر يغيّر المعنى، حتى إنّ الجمل تتّكل في تلخيص العلاقة بين أجزائها على الأداة، هذه الأداة التي تدخل على الجملة فتكون مسلّطة على علاقة الإسناد بين طرفيها أو بين الجملة وجوابها[5] كما في الشّرط، لذلك نصّ النّحاة على أنّ أدوات الشّرط تدخل على جملتين، فتربط الثانية بالأولى على وجه السببية.

ومفهوم الرّبط كان معروفا في التراث العربيّ، فقد عبّر عنه سيبويه بـــ " التعليق " عندما علّل جزم جواب الطّلب. قال: << لأنهم جعلوه معلّقا بالأوّل غير مستغنٍ عنه إذا

---

[1]– ينظر :مصطفى حميدة، نظام الارتباط والرّبط في تركيب الجملة العربية، ص 161.

[2]– ينظر: خالد إسماعيل حسان: في المعنى النحوي والمعنى الدلالي، ص 115.

[3]– ينظر: أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية، 1 / 423.

[4]– نظام الارتباط والرّبط في تركيب الجملة العربية، 195 – 196.

[5]- ينظر: تمام حسان: الخلاصة النحوية، عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط1، 2000م، ص 70.

أرادوا الجزاء >>[1]. واستعمل ابن السرّاج مصطلح " الرّبط " عندما تحدّث عن مواقع الحروف فرأى أنّ من مواضع الحرف أن يربط الاسم بالاسم، والفعل بالفعل، والاسم بالفعل، والجملة بالجملة[2].

يقول الجرجانيّ: << والكلم ثلاث: اسم وفعل وحرف، وللتعليق فيما بينها طرق معلومة وهو لا يعدو ثلاثة أقسام: تعلق اسم باسم، وتعلق اسم بفعل، وتعلّق حرف بهما...وأمّا تعلّق الحرف بهما فعلى ثلاثة أضرب...والضرب الثالث تعلّقه بمجموع الجملة كتعلّق حرف النفي والاستفهام والشّرط والجزاء بما يدخل عليه >>[3].

فهو يؤكد على أنّ تركيب الجملة في اللّغة العربيّة قائم على علاقة الرّبط بين أجزائها، هذا الرّبط الذي قد يكون من خلال دخول أداة على جملتي الشّرط والجزاء بحيث لا تستقل إحداهما عن الأخرى.

ومن أهم الوسائل التي تتحقّق بها قرينة الرّبط، وسيلة الحرف؛ أي ما يسمّى الرّبط بالأداة أو"حروف الرّبط "أو" أدوات الرّبط"، وهي قسم من أقسام الكلمة، تتميّز بذلك عن" أحرف البناء" أو" الحروف الهجائية" التي تبنى منها صيغة الكلمة؛ وهي كذلك لأنّ الكلمة إمّا أن تدلّ على ذات، وإمّا أن تدل على معنى مجرد (أي حدث)، وإمّا أن تربط بين الذات والمعنى المجرّد منها؛ فالاسم يدلّ على الذات والفعل يدل على المعنى المجرد منها والحرف هو الرّابط، ولا يدلّ على أيّ من الدلالتين ويبقى عنصرا محقّقا لوظيفة الرّبط بين عناصر الجملة وبين الجمل.

وأدوات الرّبط ثلاثة أضرب: أدوات تختصّ بالدّخول على المفردات فقط، وأدوات تختصّ بالدخول على الجمل، وأدوات تختصّ بالدّخول على المفردات والجمل معا.

---

[1] – سيبويه: الكتاب تح: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط 2، 1982م، 3/ 93 – 94.

[2] – ينظر: ابن السراج: الأصول في النحو، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط 3، 1996م، 1/ 47 .

[3] – الجرجاني: دلائل الإعجاز، تعليق: محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، (د.ط)، (د.ت)، ص4.

المبحث الأوّل: الرّبط بالأدوات الدّاخلة على المفردات

1/ الرّبط بحروف الجرّ

المقصود بالجرّ هو " جرّ عمل الفعل إلى ما بعد ذلك (الحرف)، فالأفعال اللّازمة لا تتعدّى إلى المفعولات إلاّ بواسطة (حروف الجرّ)"[1]، أي إيصال معنى الفعل أو ما هو في معناه (المصدر، اسم الفاعل، صيغ المبالغة، اسم المفعول، الصفة المشبّهة) إلى الاسم، بواسطة حروف الجرّ؛ وذلك لقصور وصول معنى الفعل – أحيانا – إلى الاسم دون وساطة.

وحوف الجرّ من الأدوات المختصّة بالمفردات، ويعدّ الجرّ في النحو العربيّ علامة إعرابيّة مختصّة بالأسماء، << فدخول حرف الجرّ على الكلمة علامة على أنّها اسم >>[2]، وفي هذا يقول ابن مالك: << والاسم قد خُصّص بالجرّ• كما خصّص الفعل بأن يجزما >>[3]. وحروف الجرّ هي: مِن، عن، على، في، اللام، الباء، للقسم وغيره، رُبّ ومذ، منذ والكاف، حتى، واو القسم وتاؤه[4]، متى (لعلّ)[5]، خلا، حاشا، وتسمّى كذلك بأدوات الخفض أو الإضافة[6]، بسبب إضافتها معنى الفعل إلى الاسم المجرور بها << فهي تُضيف معاني الأفعال قبلها إلى الأسماء بعدها >>[7].

ووظيفة حرف الجرّ لا تقتصر على الحركة الإعرابيّة التي تلحق الاسم بعدها فحسب، بل تتعدّاها إلى ربط الاسم بالاسم، وبعض الأفعال بالأسماء، فهي << تصل ما

---

[1]– أبو أوس إبراهيم الشمسان: حروف الجر دلالاتها وعلاقاتها، مطبعة المدني، جدة، السعودية،ط1، 1987م، ص 4.

[2]– محمد بن صالح العثيمين: شرح متن الأجرومية، مكتبة الرشد، السعودية، ط 1، 2005م، ص 17.

[3]– ابن مالك الأندلسي: متن الألفية، المكتبة الشعبية، لبنان، (د.ط)، (د.ت)، ص 3.

[4]– ابن هشام: شرح قطر الندى وبل الصدى، تح: محمد الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، ط2، 1997م، ص 278.

[5]– لعلّ حرف جر بلغة (عقيل). ينظر: ابن هشام: شرح قطر الندى، ص 279.

[6]– سيبويه: الكتاب، 1/ 38 – 39.

[7]– ابن يعيش: شرح المفصل، 08/7.

قبلها بما بعدها، فتوصل الاسم بالاسم، والفعل بالاسم، وأمّا إيصالها الاسم بالاسم، فقولك: الدّار لعمرو، وأمّا إيصالها الفعل بالاسم، فقولك: مررت بزيد>>[1].

فحرف الجرّ << يصل المجرور ممّا يتعلّق به هذا المجرور >>[2]، ويوضّح هذا التعلّق تمام حسّان بقوله: << يجعل الأوّل من تتمّة معنى الثاني على أحد المعاني المذكورة في باب حروف الجرّ، ومعنى أدائه وظيفة الرّبط بين العنصرين المذكورين، أنّه إذا تعدّدت المشتقات في الجملة فأولاها بتعليق الجار والمجرور ما استقام معه المعنى أو دلّت عليه القرينة >>[3].

ولتوضيح وظيفة الرّبط التي تقوم به أدوات الجرّ – في سورة الكهف – نسوق الأمثلة الآتية :

قال تعالى: ﴿وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ۝ مَّا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِأَبَآئِهِمْۚ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ۝﴾.

اشتملت الآيتين الكريمتين على خمس أدوات للجرّ، وهي على الترتيب حسب ورودها في الآيتين: (اللّام، الباء، مِنْ، اللام، مِنْ) فاللّام الأولى توسّطت بين الضّمير(هم) ومرجعه المذكور في الآية السّابقة، وهم المشركون الذين ادّعوا أنّ الله اتّخذ ولدا[4]، وقامت بدور الرّبط بين الضّمير وما يعود عليه، المتمثل في اسم الموصول (الذين) ممّا أسهم في اتّساق النصّ. وحرف الجرّ (الباء) ربطت بين الضّمير (الهاء) [5] والعنصر الإشاريّ المذكور

---

[1]– ابن السراج: الأصول في النحو، 1/ 408.

[2]– حسين رفعت حسين: الموقعية في النحو العربي، عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط 1، 2005م، ص 193.

[3]– تمام حسان: البيان في روائع القرآن، عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط 1، 1993م، ص 139 – 140.

[4]– ينظر: الألوسي، روح المعاني، 8/ 195.

[5]– ينظر: محي الدين درويش، إعراب القرآن وبيانه، ج 15، ط 7، دار ابن كثير للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، 199م، ص 436. وسليمان ياقوت: إعراب القرآن، (د.ط)، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، (د.ت)، ص 2688 – 2689 .

سابقا، وهو القول المفهوم من ((قالوا))[1]، وبذلك ربط ما بعده بما قبله، والأمر المشار إليه في الآية الرّابعة والمتمثّل في أمور الغيب التي لا يعلمها إلا الله. وحرف الجرّ (مِن) ربط مجروره (علم) بالضّمير (الهاء) العائد على علم الغيب للإشارة إلى أنّ المشركين لا يعلمون من علم الغيب شيئًا. واللّام الثانية عملت الجرّ في مجرورها (آبائهم) –الّذين قالوا مثل ذلك ناسبين التبنّي إليه عزّ وجلّ[2] – وربطته بما قبله الضّمير المحيل إلى المشركين المتحدّث عنهم في الآية الرّابعة، وبهذا ساهم هذا الحرف في الرّبط بين أجزاء النصّ...

وحرف الجر (مِنْ) جرّ معنى الفعل (تخرج) إلى معموله الاسم (أفواههم)[3]، وبذلك تعلّق الجار والمجرور (من أفواههم) بالفعل (تخرج) ممّا زاد النصّ ارتباطا واتّساقا.

قال صاحب التحرير والتنوير: والمراد بـــ " الذين قالوا اتخذ الله ولدا " هنا المشركون الذين زعموا أنّ الملائكة بنات الله، والتعبير عنهم بالموصول وصلته لأنّهم قد عُرفوا بهذه المقالة بين أقوامهم وبين المسلمين تشنيعا عليهم بهذه المقالة، وإيماء إلى أنّهم استحقّوا ما أنذروا به لأجلها ولغيرها. وجملة " ما لهم به من علم " حال من (الذين قالوا)، والضّمير المجرور بالباء عائد إلى القول المفهوم من (قالوا).[4]

ومن الآيات التي أسهمت فيها حروف الجرّ في اتّساق النصّ قوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا۟ مِنْ ءَايَـٰتِنَا عَجَبًا ۝٩ إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ فَقَالُوا۟ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ۝١٠﴾.

تضافرت في هذه الآية عديد حروف الجرّ لتؤدي وظيفة الرّبط بين عناصر التركيب، فوردت خمس مرّات على الترتيب الآتي في الآية: مِنْ، إلى، مِنْ، اللّام، مِنْ. وقد أضافت

[1]– محمد الطاهر بن عاشور: التحرير والتنوير، ص 250.

[2]– انظر: الألوسي، روح المعاني، 8/ 195.

[3]– المرجع نفسه، ص 436. ومحمد صافي: الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه، دار الرشيد، دمشق، سوريا، ط 3، 1995م، ص 139.

[4]– محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، ص 257.

إلى مضمون الآيتين دلالات عديدة، منها: دلّت (مِن) الأولى على معنى التبعيض، أي أنّ إماتة الله الأحياء بعد حياتهم أعظم من عجب إنامة أهل الكهف وليست قصّتهم منفردة بالعجب من بين الآيات الأخرى[1] . والثانية أفادت معنى العنديّة والانتساب إليه جلّ وعلا، إذ سألوا الله أن يقدّر لهم أحوالا تكون عاقبتها حصول ما خوّلهم من الثبات على الدّين الحقّ[2]. والثالثة أفادت بيان الجنس، والمراد بذلك الشأن والحال الذي يكونون فيه و(إلى) دلّت على انتهاء الغاية.[3]

ومن حيث الوظيفة، ربطت (مِنْ) الأولى بين مجرورها (آياتنا) وخبر كان (عجبا)، فهما متعلّقان بحال من (عجبا)، وحرف الجرّ (إلى) أفاد دلالة الانتهاء إلى المكان، وربطت معمولها المجرور بالعامل الفعلي (أوى) إذ الجار والمجرور(إلى الكهف) متعلّقان بالفعل (أوى)، وحرف الجرّ (مِنْ) الثانية وصلت مجرورها (لدنك) بالمفعول (رحمة)، إذ الجار والمجرور (من لدن..) متعلّقان بحال من (رحمة)، وحرف الجرّ اللّام ربط بين معموله (نا) والعامل الفعليّ (هيّء) حيث والجار والمجرور (لنا) متعلّقان بالفعل (يهيّء)[4]، وكذا الأمر بالنسبة للجار والمجرور (من أمرنا) .

وهكذا أدّت حروف الجرّ، باختلاف موضعها من السّياق، وباختلاف معمولها، وظيفة التعليق والرّبط بين أجزاء التركيب ممّا ساعد على اتّساق النصّ، بالرّبط بين السّلاسل الكلاميّة.

---

[1]– محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، 15/ 259 – 260.

[2]– ينظر: المرجع نفسه، ص 266.

[3]– محمد حسن شريف: معجم حروف المعاني في القرآن الكريم، مؤسّسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط 1، 1996م، ص 335.

[4]– ينظر: محي الدين درويش، إعراب القرآن وبيانه، 15/ 446. وسليمان ياقوت: إعراب القرآن، ص 2692. محمد صافي: الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه، ص 144.

ومن الآيات التي تضافرت فيها حروف الجرّ لتؤدّي وظيفتين تركيبيّة ودلاليّة قوله تعالى: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ قَوۡمُنَا ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةٗۖ لَّوۡلَا يَأۡتُونَ عَلَيۡهِم بِسُلۡطَٰنِۭ بَيِّنٖۖ فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗا ١٥﴾.

تعدّدت حروف الجرّ – في هذه الآية – لتؤدي وظيفة دلاليّة بما تجلبه من معانٍ إلى المعنى الموجود، ووظيفة وصليّة لوصل عناصر التركيب بعضها ببعض. فقد وردت حروف الجرّ في خمس مواضع مرتّبة – في الآية – على النّحو الآتي: مِنْ، على، الباء، مِنْ، على. فـ (مِنْ) تكررت مرّتين، و(الباء) مرّة واحدة، وتكررت (على) مرّتين. فـ (مِنْ) الأولى والثانية ابتدائيتان، أي آلهة ناشئة من غير الله، وكان قومهم يومئذ يعبدون الأصنام ولا يؤمنون بالله[1]. والحرفان (على) يفيدان مجازا معنى الاستعلاء، أي لولا يأتون على ألوهيتهم أو على صحّة اتّخاذهم لها آلهة. و(الباء) تفيد دلالة المصاحبة، والتقدير أن يأتوا بحجّة ظاهرة الدّلالة على مدعاهم[2].

ومن حيث الوظيفة التركيبيّة، وصل حرف الجرّ (على) معموله المجرور بالفعل (اتّخذوا) إذ الجار والمجرور (من لدنه) متعلّقان بمفعول ثانٍ مقدّم للفعل (اتّخذوا) المتعدّي لمفعولين إذ هو بمعنى صيّروا..

وحرف الجرّ (على) الأولى جرّت معنى الفعل (يأتون) إلى معمولها المجرور(هم)، إذ الجار والمجرور متعلّقان بحال من (سلطان)، وحرف الجرّ (الباء) ربط معموله (سلطان) بالفعل قبله (يأتون)، فالجار والمجرور (بسلطان) متعلّقان بالفعل (يأتون)؛ فالباء حرف جرّ زائد، و(سلطان) مفعول (يأتون)، فبالإضافة إلى إفادتها تقوية المعنى ساهمت (الباء) في الرّبط بين مجرورها ومعمولها الفعل (يأتون).[3]

---

[1]– ينظر: تفسير التحرير والتنوير، 15/ 274.

[2]– الألوسي: روح المعاني، 8/ 210.

[3]– ينظر: محي الدين الدرويش، إعراب القرآن وبيانه، 15/ 450. محمد صافي: الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه، ص 149.

وحرف الجرّ(مِنْ) الثانية وصلت معمولها اسم الموصول (مَنْ) بفاعل (أظلم) المستتر، فالجار والمجرور (مِمَّن) متعلّقان به، وحرف الجرّ (على) وصل مجروره لفظ الجلالة (الله) بالفعل (افترى)، فحرف الجرّ ومعموله متعلّقان بالفعل (افترى).

وهكذا نلاحظ الدور الذي لعبته حروف الجرّ في ربط معمولاتها بمتعلقاتها، ممّا ساهم في اتّساق النصّ بالرّبط بين عناصر التركيب.

كما تؤدّي حروف الجرّ وظيفتين: أولاهما تركيبيّة والثانية دلاليّة في قوله تعالى: ﴿وَإِذِ ٱعۡتَزَلۡتُمُوهُمۡ وَمَا يَعۡبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأۡوُۥٓاْ إِلَى ٱلۡكَهۡفِ يَنشُرۡ لَكُمۡ رَبُّكُم مِّن رَّحۡمَتِهِۦ وَيُهَيِّئۡ لَكُم مِّنۡ أَمۡرِكُم مِّرۡفَقٗا ١٦﴾.

حفل هذا النصّ القرآني بخمسة حروف جرّ، وردت على الترتيب في الآية: (إلى، اللّام، مِن، اللّام، مِنْ)، وساهمت في إشعاعات دلاليّة على السّياق القرآني؛ فـــ (إلى) أفادت معنى انتهاء الغاية، و(مِنْ) أفادت معنى التبعيض، و(اللام) أفادت الدّلالة على التخصيص؛ أي ما خصّهم الله به مرفق جزاء على اهتدائهم وذلك من لطف الله[1].

كما أدّت هذه الحروف وظيفة الرّبط بين عناصر التركيب؛ فالحرف (إلى) ربط بين معمولها المجرور (الكهف) والفعل (أووا) إذ جرّت معنى الفعل إلى الاسم (الكهف). واللّام العاملة في ضمير الخطاب (الكاف) جرّت معنى الفعل (ينشر) إلى معمولها المجرور وربطته به، و(مِن) الأولى والثانية اللتان تفيدان معنى التبعيض ربطتا بين معمولها المجرور والفعل قبلهما (ينشر) و(يهيّئ). واللّام العاملة في ضمير الخطاب (ك) ربطت بين معمولها والفعل (يهيّء) من جهة، ومرجعه الضّمير(ت) الخطاب فاعل الفعل (اعتزل)[2]، ممّا ساعد على ارتباط واتّساق السلسلة الكلاميّة في هذا النصّ القرآنيّ.

---

[1]– ينظر: تفسير التحرير والتنوير، مج 15، ص 278.

[2]– المرجع نفسه، 15/ 453. وسليمان ياقوت: إعراب القرآن، ص 2696 – 2697.

فالجار والمجرور له عنصر تركيبيّ يتعلّق به؛ فـ (إلى الكهف) متعلّق بالفعل (أووا)، و(لكم) متعلّق بالفعل (ينشر)، و(من رحمته) متعلّق بالفعل (ينشر) أيضا، و(من أمركم) متعلّق بـالفعل (يهيّء)، فهذه العلاقات تزيد النصّ اتّساقا.

ومن قبيل الآيات التي أدّت فيها حروف الجرّ وظيفة الرّبط قوله تعالى: ﴿ ۞ وَتَرَى ٱلشَّمۡسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهۡفِهِمۡ ذَاتَ ٱلۡيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقۡرِضُهُمۡ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَهُمۡ فِي فَجۡوَةٖ مِّنۡهُۚ ذَٰلِكَ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِۗ مَن يَهۡدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلۡمُهۡتَدِۖ وَمَن يُضۡلِلۡ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيّٗا مُّرۡشِدٗا ١٧ ﴾.

حفلت هذه الآية – أيضا – بعديد حروف الجرّ التي ساعدت على الرّبط بين عناصر التركيب وعلى انسجام المعنى العام للآية. فجاءت خمس مرّات على الترتيب الآتي: (عَنْ، في، مِنْ، مِنْ، اللام)، مضيفة إلى معاني الآية دلالات أخرى؛ فالحرف (عَن) أفاد المجاوزة المجازيّة، والمقصود – ههنا – أنّ الشمس إذا طلعت تطلع على جانب الكهف ولا تخترقه أشعّتها، وإذا غربت كانت أشعّتها أبعد عن فم الكهف منها حين طلوعها. والحرف (في) أفاد الدّلالة على الظرفيّة المكانيّة، أي المتّسع من داخل الكهف[1]. واللّام أفادت دلالة الاختصاص، والحرف (مِنْ) دلّ على معنى التبعيض.

وحروف الجرّ هذه جرّت –كذلك– معنى الأفعال إلى معمولاتها المجرورة؛ فالحرف (عَنْ) جرّ معنى الفعل (تزاور) إلى معموله المجرور (كهفهم) وهو ومجروره متعلّقان بـالفعل (تزاور)، وحرف الجرّ (في) ربط بين فعل الحدث (تقرضهم) ومكانه (فجوة الكهف)، فهو مع معموله متعلّقان بالفعل (تقرضهم) خبر للمبتدأ (هم)، والمبتدأ والخبر حال من صاحب الحال (فتية الكهف). وحرف الجرّ (مِنْ) مع معمولها الضّمير المتّصل (الهاء) متعلّقان بنعت لـ (فجوة)، وحرف الجرّ(مِن) البعضيّة ربطت بين معمولها (آيات الله) والمرجع المحال إليه باسم الإشارة (ذلك)، والمقصود بذلك قصّة أهل الكهف التي تعدّ آية من آيات الله في الكون. وحرف الجرّ (اللّام) ومعمولها (هاء الضّمير) متعلّقان

[1]– ينظر: تفسير التحرير والتنوير، 15/ 279.

بمحذوف مفعول ثان للفعل (تجد)[1]. وهكذا فحروف الجرّ بالإضافة إلى ما أضفته من دلالات جديدة، كانت بمثابة الحلقات التي ربطت بين عناصر الكلام، ممّا ساعد على اتّساق النصّ وانسجامه.

ومن الآيات الحافلة بحروف الجرّ التي ساهمت في اتّساق النصّ وانسجامه قوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَٰهُمْ لِيَتَسَآءَلُواْ بَيْنَهُمْۚ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْۖ قَالُواْ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍۚ قَالُواْ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَٱبْعَثُوٓاْ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَآ أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ﴿١٩﴾ ﴾ .

تضافرت عديد حروف الجرّ – في هذه الآية – لتساهم في اتّساق النصّ وانسجامه، فقد وردت – في الآية – ثماني مرّات، مرتبة على النحو الآتي: (ك، مِنْ، الباء، الباء، إلى، الباء، مِن، الباء). وقد تعدّدت دلالات حروف الجرّ؛ فـ (الكاف) دلّت على معنى (المشابهة)، و(مِنْ) وردت مرتين وأفادت الأولى معنى التبعيض، وأفادت الثانية بيان نوع الجنس، وربطت الأولى بين معمولها (ضمير الغائب (هم) والفعل (قال) مع معموله الفاعل، والثانية ربطت بين معمولها ضمير الغائب (الهاء) والمجرور قبلها (رزق). وحرف الجرّ (الباء) ورد أربع مرّات وأفادت الأولى والرّابعة معنى الإلصاق، وأفادت الثانية والثّالثة معنى المصاحبة. وربط حرف الجرّ (الكاف) معموله (كاف الخطاب في (كذلك)، فهما متعلّقان بمفعول مطلق عامله الفعل (بعثناهم)، وحرف الجرّ (مِنْ) الأولى وصل اسم الموصول (ما) بـــالفعل (قال)، فهما متعلّقان بنعت لـــ (قائل)، وحرف الجرّ (الباء) الأولى ربط بين مجروره اسم الموصول (ما) بـــ (أعلم)، فهما متعلّقان بـــ (أعلم)، والباء الثانية ربطت مجرورها (ورقكم) بالفعل (ابعثوا)، فالجار والمجرور هنا متعلّقان بحال من (أحدكم)، والباء الثالثة ربطت بين معمولها (رزق) والفعل (يأتكم)، فهما متعلّقان

[1]– ينظر: محي الدين الدرويش، إعراب القرآن وبيانه، 15/ 453 – 454. وسليمان ياقوت: إعراب القرآن، ص 2698.

به، والباء الرابعة ربطت بين مجروره (ضمير الخطاب) والفعل (يشعرنّ)، وحرف الجرّ (إلى) أفاد انتهاء الغاية وربط بين معموله (المدينة) بعناصر التركيب قبلها (الفعل والفاعل والجار والمجرور واسم الإشارة (هذه)) قبلها، فالجار والمجرور (إلى المدينة متعلّقان بالفعل (ابعثوا)[1]، وهكذا ساهمت حروف الجرّ المتعدّدة في اتّساق النصّ القرآني، وذلك بالرّبط بين السّلسة الكلاميّة في هذه الآية.

وتتضافر حروف الجرّ لتزيد النصّ تماسكا وانسجاما في قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَعۡثَرۡنَا عَلَيۡهِمۡ لِيَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيۡبَ فِيهَآ إِذۡ يَتَنَٰزَعُونَ بَيۡنَهُمۡ أَمۡرَهُمۡۖ فَقَالُواْ ٱبۡنُواْ عَلَيۡهِم بُنۡيَٰنٗاۖ رَّبُّهُمۡ أَعۡلَمُ بِهِمۡۚ قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُواْ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِمۡ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيۡهِم مَّسۡجِدٗا ٢١﴾.

ورد حرف الجرّ – في هذه الآية – سبع مرّات، توزّع على الحرف (على) – أربع مرات، ليفيد دلالة الاستعلاء المجازي. ففي عبارة " أعثرنا عليهم " تعدّى الفعل (أعثر) بحرف الجرّ "على" –الذي يفيد معنى الاستعلاء المجازيّ– لإفادة معنى الاطّلاع والعرفان، فهو بذلك مجاز مشهور بعلاقة السببيّة على رأي الإمام المطرزي، وجعله الغوري حقيقة في الاطلاع على أمر كان خفيّا[2]. وحرف الجرّ (الباء) ورد مرّة واحدة ودلّ على معنى (الإلصاق)، و(في) ورد مرّة واحدة ودلّ على معنى الوجود، و(الكاف) ورد مرّة واحدة في مطلع الآية ودلّ على معنى (المشابهة).

وبالإضافة إلى ما جرّته هذه الحروف من معانٍ، فإنّها وصلت عناصر التركيب بعضه ببعض ممّا ساهم في اتّساق النص وانسجامه. فالكاف وصلت بين معمولها (كاف الخطاب) ومرجعه المذكور في الحدث القصصيّ السّابق، فهي بمثابة الإحالة القبليّة، فـــ(الكاف) ومعمولها متعلّقان بالفعل (أعثرنا). وحرف الجرّ (على) جرّ معنى الفعل قبله إلى معموله المجرور (هم)، فالجار والمجرور متعلقات بالفعل (أعثرنا). وحرف الجرّ

[1]– ينظر: محي الدين درويش، إعراب القرآن وبيانه، 15/ 458 – 459. وسليمان ياقوت: إعراب القرآن، ص 2704 – 2705.

[2]– ينظر: روح المعاني، 8/ 221.

(في) ربط بين معموله (ها) واسم (لا)، فهما متعلّقان بخبر لـــ (لا) النافية للجنس. وحرف الجرّ(على) الثاني وصل معموله ضمير الغيبة (هم) بالفعل (ابنوا)، و(على) الثالثة ومجرورها متعلّقان بالفعل (غلبوا)، و(على) الرابعة مع معموله المجرور متعلّقان بمفعول به ثان للفعل (نتخذنّ). وهذه الحروف تضافرت لوصل عناصر الكلام بعضه ببعض، الأمر الذي ساعد على اتّساق العناصر الكلاميّة تركيبيّا وانسجامها دلاليّا.

ومن الآيات التي أدّت فيها حروف الجرّ وظيفة الرّبط والسّبك قوله تعالى: ﴿ قُلِ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا لَبِثُواْۖ لَهُۥ غَيۡبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ أَبۡصِرۡ بِهِۦ وَأَسۡمِعۡۚ مَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيّٖ وَلَا يُشۡرِكُ فِي حُكۡمِهِۦٓ أَحَدٗا ٢٦ ﴾ .

نلمس في هذه الآية –كذلك– حضورا لافتا لحرف الجرّ حيث أدّى وظيفة الرّبط بين عناصر السّلسلة الكلاميّة؛ حيث ورد سبع مرّات، تكرّرت (الباء) مرتين، و(اللام) مرتين، و(مِنْ) مرّتين، و(في) مرّة واحدة. وقد تعدّدت معاني هذه الحروف في هذا النصّ القرآنيّ، حيث أفادت (الباء) الأولى معنى الإلصاق، وأفادت الثانية دلالة التوكيد، وأفادت (اللّام) الأولى والثانية دلالة التخصيص، وأفادت (مِنْ) الأولى معنى البدليّة، وأفادت الثانية التوكيد، أمّا حرف الجرّ (في) فأفاد معنى (الظرفيّة) وبهذا أضفت هذه الحروف على المعنى الموجود معاني جديدة ممّا ساعد على التكثيف الدلالي في الآية[1].

وبالإضافة إلى هذه الوظيفة الدّلاليّة، أدّت هذه الحروف وظيفة تركيبيّة، إذ ساعدت على وصل عناصر التركيب لزيادة تماسك النصّ واتّساقه. فالجار والمجرور (بما) متعلّقان بالفعل (بأعلم)، حيث ربطت الباء بين الخبر واسم الموصول (ما)، والجار والمجرور (له) متعلّقان بخبر محذوف للمبتدأ المتأخّر (غيبُ)، وحرف الجرّ (اللّام) العامل في الضّمير المتّصل (الهاء) ربط بين معموله ولفظ الجلالة قبله لإفادة تخصيص العلم

[1]– ينظر: سليمان ياقوت، إعراب القرآن، ص 2711. محمد صافي: الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه، ص 171 – 172.

بغيب السّماوات والأرض بالله جلّ جلاله. والجار والمجرور(في حكمه) متعلّقان بالفعل (يشرك)، حيث ربط حرف الجرّ (في) معموله بالفعل قبله (يشرك). وبهذه الرّوابط، جاءت عناصر البنى الجمليّة أكثر تلاحما وترابطا تركيبيّا وأكثر انسجاما دلاليّا.

وممّا تقدّم من نماذج، نلاحظ أنّ حروف الجرّ أضفت على النصّ القرآنيّ تنوّعا وتعدّدا دلاليّا، كما أسهمت في اتّساق النصّ تركيبيّا.

2/ الرّبط بأدوات الاستثناء:

من الرّوابط اللفظيّة العاملة في المفردات والمساعدة على تماسك عناصر التركيب بنيويّا وانسجامه دلاليّا أدوات الاستثناء. والاستثناء أورد له القدماء تعريفات متعدّدة؛ حيث عرّفه الزّجاجيّ بقوله: <<الاستثناء: إخراج الثّاني ممّا دخل فيه الأوّل بالأدوات التي وضعتها العرب لذلك>>[1]. وعرّفه ابن عصفور بقوله: <<هذا الإخراج قد يكون ممّا دخل فيه الأوّل بعموم لفظ متقدّم، أو بحكمه، أو بالمعنى. ومثّل للأوّل بقوله: قام القوم إلّا زيدا فزيد مخرج من القوم المذكورين>>[2]. ومثّل للثاني بقوله: ما كلمت زيدا إلا يوم الجمعة. ومثّل للثّالث بقوله: ما قام إلا زيد.

وعرّفه ابن يعيش بقوله: << فالاستثناء صرف اللفظ من عمومه بإخراج المستثنى من أن يتناوله الأوّل >>، ثمّ قال بعد هذا التعريف السّابق: << وحقيقته تخصيص صفة عامّة فكل استثناء تخصيص وليس كلّ تخصيص استثناء >>[3].

وهو –أيضا– في تعريف النّحاة الإخراج بـــ (إلّا) أو إحدى أخواتها لما كان داخلا في حكم ما قبلها حقيقة أو تقديرا. فمثلا في قولك: قرأت الكتاب إلّا صفحةً، فكلمة (صفحة) أخرجت بواسطة (إلّا) وقد كانت داخلة في حكم ما قبلها، وهو (قرأت)، وهذا

---

[1]– الزجاجي: الجمل، تحقيق: علي توفيق الحمد، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط1، 1988م، ص 248.

[2]– ابن عصفور: شرح جمل الزجاجي، تقديم: فواز الشعار، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1، 1998م، 2/ 248.

[3]– ابن يعيش: شرح المفصل، 2/ 76.

مدخول حقيقيّ؛ لأنّ (الصفحة) بعض الكتاب، ويسمّي النّحاة هذا الإخراج (استثناء متّصلا)، ونحو قولك: جاء القوم إلّا سيارة. فما بعد (إلّا) أخرج من حكم ما قبلها، وهو المجيء، ولولاها لكان داخلا، وهذا دخول تقديريّ، لأنّ السّيارة ليست من جنس القوم، وهذا الإخراج يسمّيه النّحاة (استثناء منقطعا)[1].

وأسلوب الاستثناء يتنوّع بتنوّع أدواته، وأشهر هذه الأدوات: إلّا، غير، سوى، عدا، خلا، حاشا، وتعدّ (إلّا) أكثر أدوات الاستثناء استعمالا في هذا الأسلوب، وقد عدّها النّحاة أصل الباب، وبقيّة الأدوات فروعا عنها؛ لأنّ من أصولهم المقرّرة أنّ الأداة إذا كثر استعمالها صارت أصلا في بابها [2].

وأدوات الاستثناء على اختلافها تتّفق جميعا في أداء وظيفة ربط المستثنى بالمستثنى منه، ومن نحاتنا القدماء الذي أشاروا إلى وظيفتها الرابطيّة ابن جنّي حيث قال: << وقالوا أيضا: قام القوم إلا زيدا، ومررت بالنّاس إلا بكرا، فأوصلوا الفعل إلى ما بعد (إلّا) بتوسّط (إلّا) بين الفعل وبين ما بعدها من الأسماء>>[3].

وواضح من كلام ابن جنّي أنّ أداة الاستثناء (إلّا) قد جيء بها لتوصل الفعل إلى ما بعدها، وهو ما يعني أنّها رابطة ما قبلها بما بعدها، والجملة دونها تكون مفككة ولا معنى لها، وهي بذلك تقوم بالوظيفة التركيبيّة ذاتها التي تقوم بها حروف الجرّ؛ غير أنّها تختلف عن حروف الجرّ في أدائها معنى إخراج الشّيء ممّا دخل فيه غيره، أو إدخاله فيما خرج منه غيره، ووظيفة الرّبط التي اضطلعت بها هذه الأدوات أقرّها كثير من الباحثين المحدثين، وعلى رأسهم الدكتور تمّام حسان الذي عدّها من وسائل قرينة الرّبط، وفي ذلك

[1]– عبد الله الفوزان: دليل السالك إلى ألفية ابن مالك، دار القلم، الرياض، السعودية، ط 1، 1999م، 1/ 430.

[2]– ينظر: حسن خميس الملخ: نظرية الأصل والفرع في النحو العربي، ط 1، دار الشروق، عمان، الأردن، 2001م، ص 75.

[3]– ابن جني: سر صناعة الإعراب، 1/ 126.

يقول: << ويربط حرف الاستثناء بين المستثنى والمستثنى منه على سبيل إخراج المستثنى من حكم المستثنى منه >>[1].

و(إلّا) الاستثنائية حرف باتفاق النّحاة، والأصل في الاستثناء أن يكون بالحرف (إلّا) وهي أم الباب قيل إنّها حرف قائم بذاته، وقيل إنّها حرف مركّب من حرفين: إنْ ولا. ووظيفة (إلّا) الاستثناء أو الحصر، فإذا ذكر مع (إلّا) المستثنى منه ولم تسبق بنفي ولا نهي أو استفهام إنكاري كانت للاستثناء بحسب السّياق، متّصلا ومنقطعا. وإذا سبقت بنفي أو نهي أو استفهام إنكاريّ كانت أداة حصر وتكون صفة بمعنى غير >>[2] .

وممّا أورده الجرجانيّ في كتابه دلائل الإعجاز، أنّ الحروف التي تدخل الكلام لتعلُّق بعضه ببعض كتعلّق الأسماء بالأفعال والأسماء بالأسماء هي: حروف الجرّ، واو المعيّة، حروف العطف، وإلّا في الاستثناء.

وأدوات الاستثناء على اختلافها تؤدّي وظيفة الرّبط، بين المستثنى والمستثنى منه، وفي هذا يقول ابن جنّي: << وقالوا أيضا: قام القوم إلّا زيدا، ومررت بالنّاس إلّا بكرًا، فأوصلوا الفعل إلى ما بعد (إلّا) بتوسّط (إلّا) بين الفعل وبين ما بعدها من الأسماء >>[3]. ففي كلام ابن جني إشارة واضحة إلى الدّور الرابطيّ الذي تقوم به (إلّا)؛ حيث إنّها تربط ما قبلها بما بعدها، فحرف الاستثناء << يدلّ على علاقة بين اسمين: أحدهما مُخرج منه والثاني مُخرج؛ أي إنّ العلاقة التي يعبّر عنها الاستثناء، هي علاقة الإخراج، فإذا دخل حرف الاستثناء على ما ظاهره الجملة، فإنّ المراد بها هو المفرد؛ لأنها إمّا أن يتقدّمها موصول حرفيّ، يصيّرها إلى التأويل بالمصدريّة، وإمّا أن تكون في الأصل جملة حاليّة ووصفيّة مستثناة من حال أعمّ... >>[4].

---

[1]– تمام حسان: البيان في روائع القرآن، 1/ 159.

[2]– محمد حسن شريف: معجم حروف المعاني، 3/ 678.

[3]– ابن جني: سر صناعة الإعراب، 1/ 126.

[4]– حسين رفعت حسين: الموقعية في النّحو العربي، ص 196.

فالوظيفة الرّابطيّة لأداة الاستثناء (إلّا) هي ربط المستثنى بالمستثنى منه بعلاقة هي الإخراج، فعند قولنا: حضر الطلاب إلّا طالبا، فأداة الاستثناء (إلا) قد ربطت بين المستثنى (طالبا) بالمستثنى منه (الطلاب) بعلاقة هي إخراج المستثنى (طالبا) من المستثنى منه (الطلاب) وهي العلاقة التي أوجدتها (إلا) بين المستثنى منه وهي معنى ربطها بينهما[1] .

وقد تعدّدت علاقات الرّبط بأداة الاستثناء (إلّا) في سورة الكهف ممّا ساعد على اتّساق النصّ القرآنيّ تركيبيّا وانسجامه دلاليّا؛ حيث ظهرت هذه العلاقة الرّابطيّة في عشر آيات، منها قوله تعالى: ﴿مَّا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِأَبَآئِهِمْۚ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ۝٥﴾.

فجملة الاستثناء في هذه الآية، قوله تعالى: ﴿إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾، فأداة الاستثناء (إلّا) ربطت بين المستثنى منه (مفعول يقولون) بالمستثنى (كذبا)، كما دلّت حصر القول الذي صدر عنه في الكذب، ف (إنْ) في هذا السّياق تفيد النّفي بمعنى (ما)، حيث نفى السّياق القرآنيّ أن يصدر من أفواههم قول إلّا الكذب، فيكون قصرا إضافيّا، أي ما يقولونه في القرآن والإسلام، أو ما يقولونه من معتقداتهم المخالف لما جاء به الإسلام فتكون جملة إنْ " يقولون " تذييلا[2]. فأداة الاستثناء (إلّا) في هذا السّياق أسهمت في اتّساق النصّ وذلك بالرّبط بين عناصر التركيب (المستثنى والمستثنى منه)، كما أسهمت في انسجامه دلاليّا إذْ أفادت أنّ ما بعدها محصور فيه مضمون الفعل قبلها، ولولاها لما فُهِمَت دلالة الحصر هذه.

ومن الآيات الّتي أدّت فيها الأداة " إلّا " هاتين الوظيفتين قوله تعالى: ﴿وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأْوُۥٓا۟ إِلَى ٱلْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا ۝١٦﴾.

---

[1]– حسين رفعت حسين: الموقعية في النّحو العربي، ص 196.

[2]– ينظر: تفسير التحرير والتنوير، 15/ 253.

أسلوب الاستثناء في هذه الآية ورد في قوله تعالى: (ما يعبدون إلّا اللهَ) فالأداة (إلا) ربطت بين المستثنى (اللهَ) والمستثنى منه (المعبود مفعول الفعل (يعبدون)، و(ما) في صدر الجملة اسم موصول، وصلته جملة (يعبدون)، والاستثناء في قوله (إلّا اللهَ) استثناء منقطع لأنّ الله تعالى لم يكن يعبده القوم[1]، ويقدّر الكلام نحو: وإذ اعتزلتم دينهم يعذّبونكم فأووا إلى الكهف. وأداة الاستثناء (إلّا) في هذا التركيب أسهمت في اتّساق عناصر التركيب، بالرّبط بين العنصر المخرج (المستثنى) وهو لفظ الجلالة (اللّه) والمستثنى منه الذي دلّت عليه (ما) الموصولة، وبذلك ربط ما بعده بما قبله، وأفاد دلالة الاستثناء أو الإخراج بمصطلح القدماء، وهذا ما زاد النصّ سبكا وانسجاما.

ومن الآيات التي ردت فيها أداة الاستثناء (إلّا) وظيفة الرّبط بين عناصر أسوب الاستثناء قوله تعالى: ﴿سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًۢا بِٱلْغَيْبِ ۖ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ ۚ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ ۬ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَآءً ظَٰهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا ﴿٢٢﴾﴾.

الأسلوب في هذه الآية أسلوب حصر في قوله تعالى (ما يعلمُهم إلّا قليل) حيث دلّت هذه الآية أنّ الله أعلم قليلا من الخلق عدّة فتية الكهف، وفي مقدّمتهم محمّد – صلّى الله عليه وسلّم – لأنّ قصّتهم جاءت على لسانه فلا شكّ أنّ الله أطلعه على عدّتهم. وروى ابن عبّاس قال: أنا من القليل[2]. وجملة (ما يعلمهم إلّا قليل) مستأنفة استئنافا بيانيّا يفيد أنّ قليلا من النّاس يعلمون عدّة الفتية ولا محالة هم مَنْ أطلعهم الله علة ذلك بوحي، فأفادت بذلك (إلّا) حصر الأمر في قليل ممّنْ أعلمهم الله بأمر الفتية[3].

وتركيبيّا، نلاحظ أنّ أداة الحصر (إلّا) المسبوقة بـــ (ما) النّافية ربطت بين ركني الاستثناء (الحصر)؛ المستثنى (قليل) والمستثنى منه الذي دلّ عليه الضّمير المتّصل (هم)،

[1]– تفسير التحرير والتنوير، 15/ 276.

[2]– انظر: المرجع نفسه، 15/ 291.

[3]– المرجع نفسه، ص 293.

وهذا الرّبط بين العناصر ساهم في اتّساق النصّ بنيويّا وانسجامه دلاليّا بدلالته على معنى الحصر.

ومن أساليب الاستثناء – في سورة الكهف – قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ۖ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ ۖ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا ﴿٥٠﴾ ﴾.

الشّاهد في هذه الآية، قوله تعالى: (فسجدوا إلّا إبليسَ)، فأداة الاستثناء (إلّا) ربطت بين المستثنى (إبليس) والمستثنى منه (الملائكة)، مع أنّ (إبليس) ليس من جنس الملائكة، لذا يطلق على هذا النّوع من الاستثناء بالاستثناء المنقطع[1]؛ لأنّ الأداة (إلّا) تؤدّي معنى الحرف (لكن)، الذي يفيد الاستدراك، والاستدراك هو الأقدر على أداء وظيفة الوصل العكسيّ، أو الوصل النّقيض، حيث تكون العلاقة بين الأشياء متنافرة أو متعارضة في عالم النصّ[2].

ومن شواهد الرّبط بأداة الاستثناء (إلّا) في سورة الكهف قوله تعالى: ﴿ وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓاْ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُواْ رَبَّهُمْ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ قُبُلًا ﴿٥٥﴾ ﴾.

تشتمل هذه الآية على أسلوب استثناء بالأداة (إلّا) التي سبقت بنفي فأفادت الحصر، وهي مؤلّفة من جملة منفيّة بـــ (ما) وهي جملة (منع النّاس) عطفت عليها جملة (ويستغفروا ربّهم..) وهذه الجملة محصورة في جملة (أنْ تأتيهم سنّة الأوّلين..) بالأداة (إلّا) التي ربطت بين عناصر هذا التركيب، وأسهمت في توضيح المعنى؛ فالسّياق القرآنيّ – ههنا – يؤكّد أنّ الأمر الذي منع النّاس أن يؤمنوا رغم رسالات الهدي محصور في خوفهم من العذاب الذي سيأتيهم قبلا...

[1] – ينظر: ابن هشام، شرح قطر الندى، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 4، 2004م، ص 232 – 233.

[2]- ينظر: محي الدين الدرويش، إعراب القرآن وبيانه، 15/ 507.

والاستثناء في قوله تعالى (أن تأتيهم..) استثناء مفرغ هو فاعل (ما منع)، و(أن يؤمنوا) منصوب بنزع الخافض، من أن يؤمنوا. فالأداة (إلّا) ربطت بين عناصر التركيب، بين المستثنى (أن تأتيهم سنّة الأوّلين) والمستثنى منه (فاعل (منع)، وهذا ساعد على سبك عناصر التركيب، وإفادة دلالة حصر الفعل (منع النّاس أن يؤمنوا) في (أن تأتيهم سنّة الأوّلين)، ولولا هذه الأداة لما استفيد أنّ السّياق في هذه العبارة سياق حصر.

ومن أمثلة أسلوب الحصر في سورة الكهف قوله تعالى: ﴿ وَمَا نُرۡسِلُ ٱلۡمُرۡسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَۚ وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلۡبَٰطِلِ لِيُدۡحِضُواْ بِهِ ٱلۡحَقَّۖ وَٱتَّخَذُوٓاْ ءَايَٰتِي وَمَآ أُنذِرُواْ هُزُوًا ﴾ .

تعقيبا على مضمون الآية السّابقة، يبرز الخطاب القرآنيّ ي هذه الآية أنّ وظيفة الرّسل التبليغ بالبشارة والنّذارة، لا التصدّي للمجادلة، لأنّها مجادلة لم يقصد منها الاسترشاد بل الغاية منها إبطال الحقّ[1].

وهذا النصّ القرآنيّ مشتمل أيضا على بنية تركيبيّة مؤلّفة من: أداة نفي (ما) تليها جملة فعليّة (نرسل المرسلين..) وأداة الاستثناء (إلّا) التي تفيد الحصر، والمستثنى أو المحصور، فالاستثناء – ههنا – استثناء من أحوال عامّة محذوفة الذّكر، أي نرسل المرسلين في حال إلّا حال كونهم مبشّرين ومنذرين. وهذه الأداة (إلّا) ربطت بين عناصر بنية الاستثناء وأبرزت تعلّق لفظ المستثنى بلفظ المستثنى منه، كما أبانَ أنّ الدّلالة دلالة حصر لا غير، وهذا ما زاد عناصر النصّ تماسكا والنصّ اتّساقا وانسجاما.

ومن قبيل أسلوب الحصر بـــ (إلّا) في الخطاب القرآنيّ قوله تعالى: ﴿قَالَ أَرَءَيۡتَ إِذۡ أَوَيۡنَآ إِلَى ٱلصَّخۡرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ ٱلۡحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيۡطَٰنُ أَنۡ أَذۡكُرَهُۥۚ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِي ٱلۡبَحۡرِ عَجَبًا ﴾.

الشّاهد في هذه الآية هو (وما أنسانيه إلّا الشيطانُ)؛ فالمستثنى هو(الشيطان)، والمستثنى عامّة البشر، وجملة الاستثناء صدّرت بحرف النّفي (ما) التي جعلت أداة الاستثناء تفيد دلالة الحصر؛ إذ حصر المولى تعالى فعل الإنساء في الشّيطان دون سواه.

[1]– ينظر: تفسير التحرير والتنوير، 15/ 352.

ووجه حصره إسناد هذا الإنساء إلى الشيطان أنّ ما حصل له نسيان أن يخبر موسى بتلك الحادثة نسيان ليس من شأنه أن يقع في زمن قريب مع شدّة الاهتمام بالأمر المنسيّ وشدّة عنايته بإخبار نبيّه به[1].

وبالإضافة إلى هذه الدّلالة، أدّت (إلا) وظيفة الرّبط بين عنصري التركيب الاستثنائيّ ممّا ساعد على اتّساق النصّ تركيبيا وانسجامه دلاليّا.

وممّا تقدّم، نلاحظ أنّ القرينتين المختصّتين بالدّخول على المفردات أدّتا وظيفتين اثنتين: وظيفة تركيبيّة حيث ساهمتا في اتّساق النصّ بالرّبط بين عناصر السّلسلة الكلاميّة في الآيات القرآنيّة، ووظيفة دلاليّة إذْ جلَبتا إلى المعاني الموجودة في النصّ القرآنيّ معاني جديدة وآمَنَتا السّياق القرآنيّ من اللّبس بتحديد الوظيفة التي تؤدّيها التراكيب المقترنة بها.

[1]– تفسير التحرير والتنوير،15/ 367.

الرّبط بالأدوات الدّاخلة على الجمل:

1/ الرّبط بأدوات الشّرط :

الشّرط اصطلاحا:

عرّفه المبرّد من النّحاة المتقدّمين بقوله: << الشّرط وقوع الشيء لوقوع غيره >>[1]، ومثّل له بقوله تعالى: ﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغۡفَرۡ لَهُم مَّا قَدۡ سَلَفَ وَإِن يَعُودُواْ فَقَدۡ مَضَتۡ سُنَّتُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾ ﴾ [الأنفال: 38].

وأورد له بعض المتأخّرين تعريفات عديدة، منها:

– التعريف الأوّل: << الشّرط: هو التعليق بين جملتين والحكم بسببيّة أولاهما ومسببيّة الثّانية >>[2]، والمقصود بالتعليق ربط مضمون الجملة الأولى بمضمون الجملة الثّانية، ولا يتمّ ذلك إلّا بوجود أداة للرّبط بينهما، وهي أدوات الشّرط. والحكم بسببيّة الأولى ومسببيّة الثّانية يعني أنّ الجملة الأولى هي السّبب في حصول الثّانية، فسمّيت الأولى: سببيّة والثّانية مسببيّة، والسّبب هو عبارة عمّا يتوصّل به إلى غيره، تقول: جعلت فلانا سببا إلى فلان في حاجتي، أي وُصلة[3].

– التعريف الثّاني: << حدّ الشّرط، هو تعليق حصول مضمون جملة بحصول مضمون أخرى >>[4]، وهذا التعريف ينصّ على أنّ الوظيفة الأساسية للتركيب الشّرطيّ، هي الرّبط بين جملتين ربطا بحيث لا تقع الثانية إلّا بحصول الأولى. وهذا، يؤكّد أنّ التركيب الشّرطيّ ينبني على جملتين لا تستقلّ إحداهما عن الأخرى، نظرا للارتباط الذي يجمع بينهما في وحدة لغوية مفيدة؛ والأداة التي تحقّق هذا الارتباط هي أداة الشّرط المتصدرة

[1]– المبرد: المقتضب، تح: محمد عبد الخالق عضيمة، دار الفكر، القاهرة، مصر، 1387ه، 2/ 46.

[2] – ابن الحاجب: شرح الرضي على كافية ابن الحاجب، تح: د. عبد العال سالم مكرم، عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط 1، 2001م، 92/5.

[3]– ابن منظور: لسان العرب، مادة (س ب ب).

[4]– الفاكهي: شرح الحدود في النحو، تح: د. متولي رمضان أحمد الدميري، 1408 ه – 1988م، ص 275.

لجملتي الشّرط والجواب، والتي دخلت عليهما فسلبت استقلالهما وربطتهما ربطا لا يتمّ المعنى بواحدة دون الأخرى.

من خلال تعريف الفاكهيّ نلاحظ أنّه استخدم معنى التعليق للدّلالة على الرّبط الشّرطيّ، وهو المعنى الذي انطلق منه ابن مالك في وضعه حدّا للشرط، لكنه أضاف معنى جديدا إلى التعريف وهو معنى " السببية " للشّرط. يقول: << ومن عوامل الجزم أدوات الشّرط، وهي كلمات وضعت لتدلّ على التعليق بين جملتين، والحكم بسببيّة أولاهما، ومسببيه الثانية >>[1].

ومن هذه التعاريف نخلص إلى أنّ الشّرط – في الاصطلاح – يدور حول معنى التعليق، وهذا التعليق لا بدّ له من طرفين لربط أحدهما بالآخر، وأنّ كلّ طرف من طرفي التعليق يسمّى عندهم – أي النّحاة – جملة أو فعلا، وأنّ هذا التعليق بين الفعلين إنّما هو كائن لسببيّة الأوّل ومسببيّة الثاني، على أنّه ليس هذا هو المقصود دوما في الشّرط؛ وأنّ هذا التعليق يحصل بواسطة أداة من الأدوات تسمّى بأدوات الشّرط أو كلم الشّرط أو كلم المجازاة[2].

وأدوات الشّرط هي: كلمات وضعت لتعليق جملة بجملة، وتكون الأولى سببا، والثانية متسبّبا، ولذلك يجب استقبال الفعلين بعدها؛ لأنّ أدوات الشّرط من شأنها أن تنقل الماضي إلى الاستقبال، وتخلص المضارع له[3].

وهذه الأدوات وبغض النظر عن أصالتها أو تحويلها، فإنها لا تدلّ على معانٍ معجمية وإنّما تدلّ على معنى وظيفي عام هو التعليق الشّرطي، فتتفق جميعًا في تعليق وقوع الجواب على وقوع الشّرط – وذلك في غير الشّرط الامتناعيّ – ولكن تختلف من ناحية المعنى.

---

[1]– ابن مالك: شرح التسهيل، تح: عبد الرحمان السيّد، و محمد بدوي المختون، هجر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط 1، 1990م، 4/ 66.

[2]– أحمد خضر حسنين الحسن: أسلوب الشّرط بين النحويين والأصوليين، الدار العلمية للنشر والتوزيع، الإسكندرية، مصر، ط1، 2016م، ص 55.

[3]– أبو حيان الأندلسي: ارتشاف الضرب، 4 / 1826.

وتعدّ أدوات الشّرط من الأدوات التي تربط بين أجزاء التراكيب داخل النصّ فتساعد على اتّساقه. وفي سورة الكهف تضافرت أدوات الشّرط لتساهم في اتّساق النصّ وترابطه، وذلك على النّحو الآتي :

أ- حروف الشّرط الجازمة :

إنْ: هي حرف باتفاق النّحاة، يقول المبرد: <<فحرفها في الأصل إنْ وهذه كلها دواخل عليها لاجتماعها >>[1]. وتدلّ على تعليق الجواب على الشّرط تعليقا مجرّدا، ليدلّ على وقوع الجواب وتحقّقه بوقوع الشّرط وتحقّقه، ولا علاقة لها بالدّلالة على زمان أو غيره، ولا تستعمل إلّا في المعاني المحتملة المشكوك في وقوعها[2]. وقد أطلق عليها كثير من النّحاة لفظ (أم الباب)[3].

وذهب جمهور النحاة إلى أنّ " إنْ" هي الأصل في أدوات الشّرط وهي أمّ أدواته كما عبّر عن ذلك أبو حيان بقوله: << وإنْ أمّ الأدوات ولا تشعر بزمان يكون فيه توقف حصول الجزاء على حصول الشّرط من لفظها >>[4]. وتابع ابن يعيش: <<وأمّا " إنْ" الشّرطية فتجزم ما بعدها، وهي أمّ حروف الشّرط، ولها من التصرف ما ليس بغيرها، ألا تراها تستعمل ظاهرة ومضمرة مقدّرة، ويحذف بعدها الشّرط ويقوم غيره مقامه... >>[5].

وعندما تقع " إن" شرطية فإنها تجزم فعلين مضارعين أحدهما هو الشّرط والثاني هو الجزاء، ويجوز أن تدخل على ماضيين فلا يؤثر فيهما لبنائهما، وهما في المعنى

---

[1]- المبرد: المقتضب، 2/ 46.

[2]- ابن يعيش: شرح المفصل، 9/ 4.

[3]- سيبويه: الكتاب، 3/ 63.

[4]- أبو حيان الأندلسي: ارتشاف الضرب، تح: رجب عثمان محمد و رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط 1، 1998م، 2/ 547. .

[5] - ابن يعيش: شرح المفصل، 7/ 14.

مستقبلان، ويجوز أن تدخل على ماض ومضارع فيبقى الماضي مبنيّا، وأكّد النّحاة على أنّ المضارع حينئذ يكون مرفوعا فلا تؤثّر فيه " إنْ"[1].

وقد وردت " إنْ " في سورة الكهف تسع مرّات رابطة لأجزاء الكلام، منها قوله تعالى: ﴿فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفۡسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمۡ إِن لَّمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ أَسَفًا ۝٦﴾[الكهف/09].

وهذه الآية اشتملت على تركيب شرطيّ أدّت فيه (إنْ) الشّرطيّة دور الرّابط؛ حيث ربطت بين جملة الشّرط (لم يؤمنوا..) وجملة جواب الشّرط (لعلّك باخع نفسك...). والملاحظة أنّ جملة الشّرط وردت جملة فعليّة فعلها فعل مضارع مجزوم بلمْ النافية، وجملة جواب الشّرط وردت جملة وصفيّة؛ جملة اسميّة مسبوقة بناسخ (لعلّ) وقد تقدّمت على جملة فعل الشّرط خلافا للأصل، كما أسهمت (الفاء) في هذه البنية التركيبيّة في الرّبط بين ركني الجملة الشّرطيّة، وذلك بتعلّق جملة الجواب بجملة الشّرط ممّا أسهم في الرّبط بين عناصر النصّ.

كما تؤدّي (إنْ) وظيفة الرّبط بين جزئي الجملة الشّرطيّة، وذلك في قوله تعالى: ﴿ إِنَّهُمۡ إِن يَظۡهَرُواْ عَلَيۡكُمۡ يَرۡجُمُوكُمۡ أَوۡ يُعِيدُوكُمۡ فِي مِلَّتِهِمۡ وَلَن تُفۡلِحُوٓاْ إِذًا أَبَدٗا ۝٢٠ ﴾ تتألّف هذه البنية التركيبيّة من أداة الشّرط (إنْ)، وجملة فعل الشّرط (يظهروا..) وجملة جواب الشّرط (يرجموكم..). والملاحظ أنّ طرفي الجملة الشّرطيّة فعلهما فعل مضارع مجزوم بـــ (إنْ) وهذا هو الأصل في فعلي جملة الشّرط وجملة الجواب[2]. وقد أفادت (إنْ) في هذا التركيب تعلّق جواب الشّرط (يرجموكم) وتوقّفه على جملة الشّرط (يظهروا)، وعلاقة التعلّق هذه ساعدت على اتّساق النصّ وترابطه.

---

[1]– أحمد حسنين الحسن: أسلوب الشّرط معناه ودلالته عند النحويين والأصوليين، بحث مقدم لنيل درجة الدكتوراه، جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية، دلية الدراسات العليا، دائرة اللّغة العربيّة، قسم النحو والصرف، 1428ه – 2007م،، ص 193.

[2]– ينظر: سيبويه، الكتاب، 3/ 58 و 63. و المبرد: المقتضب، 2/ 46، وابن هشام: مغني اللبيب، ص ص 398، 431، 440.

ومن أمثلة تراكيب الشّرط – في سورة الكهف – التي كانت أدّت فيها الأداة " إنْ " وظيفة الرّبط قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهَا مُنقَلَبٗا ﴾.

الجملة الشّرطيّة في هذه الآية – وردت خلافا للأصل – مؤلّفة من أداة الشّرط (إنْ) المقترنة بلام يسمّيها النّحاة باللّام الموطئة للقسم[1]، وجملة الشّرط (رُددت) وهي جملة فعليّة فعلها ماض مبنيّ للمجهول في محلّ جزم، وجملة (لأجدنّ) جملة جواب قسم محذوف فعلها مضارع[2] مبني لاتّصاله بنوني التوكيد، وجملة جواب الشّرط محذوفة دلّ عليها جواب القسم[3]. وقد أسهمت الأداة (إنْ) في الرّبط بين عناصر التركيب واتّساق النصّ، كما أدّت اللّام دور الرابط بين ركني التركيب الشّرطيّ.

ومن أمثلة هذا الضّرب من التراكيب الشّرطيّة قوله تعالى: ﴿وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعۡرَضَ عَنۡهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتۡ يَدَاهُۚ إِنَّا جَعَلۡنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ أَكِنَّةً أَن يَفۡقَهُوهُ وَفِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَقۡرٗاۖ وَإِن تَدۡعُهُمۡ إِلَى ٱلۡهُدَىٰ فَلَن يَهۡتَدُوٓاْ إِذًا أَبَدٗا ٥٧ ﴾

تألّفت جملة الشّرط في هذه الآية من جملة فعل الشّرط (تدعهم) وجملة جواب الشّرط (لنْ يهتدوا)، وعملت أداة الشّرط (إنْ) في فعل جملة الشّرط (تدعهم) وورد فعل جواب الشّرط منصوبا بلنْ النافية في محل جزم بـــ (إنْ)[4]، وساعد في التركيب حرفان في اتّساق النص وترابطه، حرف الشّرط (إنْ) والفاء الرّابطة.

ومن الآيات التي أدّت فيها (إنْ) الشّرطيّة دور الرّابط بين عناصر التركيب الشّرطيّ ووضّحت علاقة التعلّق بين طرفي الشّرط، قوله تعالى: ﴿ قَالَ إِن سَأَلۡتُكَ عَن شَيۡءِۭ بَعۡدَهَا فَلَا تُصَٰحِبۡنِيۖ قَدۡ بَلَغۡتَ مِن لَّدُنِّي عُذۡرٗا ٧٦ ﴾**[الكهف/76].**

---

[1]– ينظر: أبو حيان، البحر المحيط، 3/ 444.

[2]– ينظر: سيبويه، الكتاب، 3/ 69.

[3]– ينظر: سيبويه، الكتاب، 3/ 65، والمبرد: المقتضب، 2/ 69.

[4]– ينظر : سيبويه، الكتاب، 3/ 91.

فجملة الشّرط وردت – خلافا للأصل – جملة فعليّة فعلها فعل ماضٍ مؤوّلا للدلالة على الاستقبال (سألتك)، وعن هذا يقول المبرّد: << وقد يجوز أن تقع الأفعال الماضية في الجزاء على معنى المستقبلة لأنّ الشّرط لا يقع إلّا على فعل لم يقع ...>> [1]. وجملة جواب الشّرط وردت جملة فعليّة طلبيّة، مؤلّفة من (لا) النّاهية ومعمولها الفعل المضارع (تصاحبني)[2]، فجعلت (إنْ) جواب الشّرط متعلّقا بفعل الشّرط، كما ربطت بين عناصر التركيب، بالإضافة إلى الفاء الدّاخلة على جواب الشّرط، إذ ساهمت في الرّبط بين طرفي الجملة الشّرطيّة وساعدت بذلك على اتّساق النصّ القرآنيّ.

ب- حروف الشّرط غير الجازمة :

من حروف الشّرط غير الجازمة التي أدّت وظيفة الرّبط بين عناصر السّلسلة الكلاميّة في النصّ القرآنيّ، الحرف (لوْ) الذي تكرّر في ثلاث آيات من آيّ القرآن الكريم في سورة الكهف.

- **الرّبط بالأداة " لوْ"**: عرّفها سيبويه بقوله: << لوْ: لما كان سيقع لوقوع غيره أي أنّها تقتضي فعلا ماضيا كان يتوقّع ثبوته لثبوت غيره والمتوقّع غير واقع فكأنّه قال: لو حرف يقتضي فعلا امتنع لامتناع ما كان يثبت لثبوته>>[3]. وعرّفها أكثر النحاة بقولهم: حرف يدلّ على امتناع الشيء لامتناع غيره[4]. ويرى ابن هشام أنّ (لَوْ): << ... حرف شرط يقتضي في الماضي امتناع ما يليه واستلزامه لتاليه >>[5]. و(لوْ) الامتناعيّة تفيد: عقد السّببيّة والمُسببيّة بين جملتين، وتقيّد الشّرط بالزّمن الماضي، والامتناع.

---

[1]- المبرد: المقتضب، 2/ 50.

[2]– سيبويه، الكتاب، 3/ 68.

[3]– سيبويه: الكتاب، 2/ 307.

[4]–المرادي: الجنى الداني في حروف المعاني، تح: فخر الدين قباوة ومحمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1، 1992م، ص 275.

[5]– ابن هشام: مغني اللبيب، ص 342 – 343.

ومن الآيات التي أدّت فيها (لوْ) هذه الوظيفة قوله تعالى: ﴿ وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ ۚ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِ ۖ وَكَلْبُهُم بَٰسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِٱلْوَصِيدِ ۚ لَوِ ٱطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا ﴿١٨﴾ ﴾ .

والجملة الشّرطيّة في هذا النصّ القرآني تتألّف من حرف الشّرط (لوْ) وهو على رأي النّحاة حرف امتناع لامتناع، وجملة فعل الشّرط (اطّلعت...) وجملة جواب الشّرط (ولّيت..) وفعلا الشّرط وجواب الشّرط وردا فعلين ماضيين، وهذا هو الأصل في فعلي الشّرط وجوابه[1]. ووظيفة (لوْ) في هذا التركيب هو الدّلالة على معنى تعلّق جواب الشّرط بفعل الشّرط، فامتناع فعل جواب الشّرط مسبّب بفعل الشّرط، أدّت وظيفة الرّبط بين البنيتين التركيبيتين، كما أدّت اللّام أيضا وظيفة الرّبط هذه ممّا ساعد على اتّساق النص وتلاحم أجزائه.

ومن أمثلة ذلك –أيضا– في سورة الكهف قوله تعالى: ﴿ وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِ ۖ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُوا۟ لَعَجَّلَ لَهُمُ ٱلْعَذَابَ ۚ بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ لَّن يَجِدُوا۟ مِن دُونِهِۦ مَوْئِلًا ﴿٥٨﴾ ﴾

تتألّف بينة الجملة الشّرطيّة من أداة الشّرط (لوْ) وهي شرطيّة غير جازمة، تليها جملة الشّرط (يؤاخذهم) وهي جملة فعليّة مضارعيّة، فجملة جواب الشّرط (لعجّل) وهي جملة فعليّة ماضويّة[2]، واللّام رابط لجملة الجواب بجملة الشّرط. ووظيفة (لو) في التركيب هو ربط جملة جواب الشّرط بجملة الشّرط، إذ أبانت أنّ جملة الجواب متعلّقة بجملة الشّرط، وأفادت في هذا السّياق امتناع جواب الشّرط لامتناع الشّرط، وساعد ذلك على اتّساق النصّ بنيويّا وانسجامه دلاليّا.

[1]– ينظر: المبرد، المقتضب، 3/ 76.

[2]– ينظر: شرح المفصل، ص 382.

ومن أمثلة هذا النّمط التركيبيّ في سورة الكهف قوله تعالى: ﴿ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهۡلَ قَرۡيَةٍ ٱسۡتَطۡعَمَآ أَهۡلَهَا فَأَبَوۡاْ أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارٗا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُۥۖ قَالَ لَوۡ شِئۡتَ لَتَّخَذۡتَ عَلَيۡهِ أَجۡرٗا ٧٧ ﴾.

فجملة الشّرط في هذه الآية مؤلّفة من أداة الشّرط (لَوْ) وهي أداة تفيد امتناع جواب الشّرط لامتناع فعل الشّرط، وجملة الشّرط (شئت) وهي جملة فعليّة ماضويّة، وجملة الجواب (لاتّخذت) وهي جملة فعليّة ماضويّة أيضا[1]، واللّام رابط، كما أسهمت أداة الشّرط (لو) في اتّساق النصّ وذلك بربط جملة الجواب بجملة الشّرط والدّلالة على امتناع جواب الشّرط لامتناع فعل الشّرط ممّا أسهم في انسجام النصّ دلاليّا.

-**الرّبط بالأداة " أمّا "**: ذهب الجمهور[2] إلى أنّ " أمّا" تؤوّل بجملة هي: مهما يكن من شيء، فإذا قلت: أمّا زيد فمنطلق كان معناه مهما يكن من شيء فزيد منطلق، فحذف فعل الشّرط وأداته مهما يكن وأقيمت " أمّا " مقامها، فصار التقدير: أمّا فزيد منطلق، فأخّرت الفاء إلى الجزء الثاني من الجملة لضرب من إصلاح المنطق. ومن أحكامه أنّ الفاء بعدها لازمة لا تحذف إلا مع قول أغنى عنه المحكيّ به، أو في ضرورة الشّعر[3].

ووردت " أمّا " أداة رابطة في سورة الكهف، كما في قوله تعالى: ﴿ أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتۡ لِمَسَٰكِينَ يَعۡمَلُونَ فِي ٱلۡبَحۡرِ فَأَرَدتُّ أَنۡ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٞ يَأۡخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصۡبٗا ٧٩ ﴾.

صُدّرت الجملة الشّرطيّة في هذه الآية بـــ أداة الشّرط (أمّا)، وهي كما ذهب جمهور النّحاة تؤوّل بجملة هي: مهما يكن من شيء التي تمثّل جملة الشّرط[4]، وجملة جواب

[1]- ينظر: المبرد، المقتضب، 3/ 76، وشرح المفصل، ص 382.

[2]- المرادي: الجنى الداني، ص 522.

[3]- ينظر: أحمد خضر حسنين الحسن، أسلوب الشّرط بين النحويين والأصوليين، ص 160.

[4]- المرجع نفسه، ص 161.

الشّرط (كانت لمساكين) وهي جملة اسميّة مصدّرة بـــ (كان) الناسخة [1]، والفاء رابط بين طرفي الجملة الشّرطيّة، وكما أفادت أداة الشّرط (أمّا) الدّلالة على الشّرط والتفصيل، فقد أدّت أيضا وظيفة الرّبط بين عنصري التركيب الشّرطيّ وأفادت تعلّق جملة الجواب بجملة الشّرط، ممّا ساعد على اتّساق النصّ تركيبيا وانسجامه دلاليّا.

ومن الآيات التي أدّت فيها (أمّا) دور الرّبط بين البنيتين التركيبيتين جملة الشّرط وجملة الجواب قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى ۚ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٢﴾ ﴾.

فالأداة – إذن– هي (أمّا) التي تؤوّل بجملة تقديرها (مهما يكن من شيء) وهي تمثّل جملة الشّرط، وجملة الجواب (كان لغلامين) وهي جملة اسميّة مؤلّفة من (كان) النّاسخة ومعمولها (الضّمير المستتر العائد على ما قبل كان، وهو لفظ (الجدار)، والفاء رابط لركني الجملة الشّرطيّة. وأداة الشّرط (أمّا) أدّت أيضا وظيفة الرّبط بين طرفي الجملة الشّرطيّة وأفادت أنّ جملة جواب الشّرط مسبّبة عن جملة الشّرط، وبذلك ساعدت الأداة (أمّا) على اتّساق النصّ تركيبيّا وانسجامه دلاليّا.

ومن أمثلة هذا النّمط التركيبيّ في سورة الكهف، قوله تعالى: ﴿قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨٧﴾ ﴾.

تألّفت هذه الجملة من حرف الشّرط والتفصيل والتوكيد [2] (أمّا) تليها جملة الشّرط المؤلّفة من (مَنْ) الموصولة مبتدأ وصلتها (ظلم)، تليها جملة جواب (أمّا) وهي جملة فعليّة مضارعيّة مصدرة بحرف التنفيس (سوف). وقد ارتبطت جملة الشّرط بجملة جواب

[1]– ينظر: ابن هشام، مغني اللبيب، 81.

[2]– ينظر: المرجع نفسه، ص 80.

الشّرط برابطين: (أمّا) والفاء الواقعة في جوابها، ممّا ساعد على اتّساق النصّ تركيبيّا وانسجامه دلاليّا إذ أبان هذان الرابطان نوع الجملة إذ هي جملة شرطيّة، ولولاهما لتُوهّم أنهما جملتان مختلفتان غير متصلتين، تركيبيّا ودلاليّا.

ج- أسماء الشّرط الجازمة:

- **الرّبط بالأداة " مَنْ ":** تكون (مَنْ) شرطيّة، وتستعمل للعاقل من الثقلين والملائكة وتقع في محلّ رفع مبتدأ، نحو: مَنْ يكثر كلامه يكثر ملامه. ومنه قوله تعالى: ((مَنْ جاءَ بالحسنة فلهُ خير منها)) [النمل: 89]. وهي مبهمة الزّمن أي لا تدلّ على زمن معيّن معروف البداية والمقدار، لذا فإنّ معناها معنى الجنس، وذكرها النّحاة كثيرا ضمن ما يجازى به من الأسماء غير الظروف[1].

ومن شواهد الرّبط بالأداة (مَنْ) في سورة الكهف قوله تعالى: ﴿ ۞ وَتَرَى ٱلشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَهُمْ فِى فَجْوَةٍ مِّنْهُ ۚ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ۗ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴿١٧﴾ ﴾.

اشتملت هذه الآية على جملتين شرطيتين، الجملة الأولى مصدّرة بأداة الشّرط (مَنْ) الجازمة، والموضوعة للعاقل، وهي في محلّ نصب مفعول مقدّم للفعل (يهد)، وجملة الشّرط (يهد الله) وهي جملة فعليّة مضارعيّة، وجملة جواب الشّرط (هو المهتد) وهي جملة اسميّة[2]، والفاء رابط، والجملة الثانية مؤلفة أيضا من أداة الشّرط (مَنْ) وجملة الشّرط (يُضلل) وهي جملة فعليّة مضارعيّة وجملة جواب الشّرط (فلنْ تجدَ) وهي بخلاف الأولى وردت جملة فعليّة مضارعيّة منفيّة[3]، والفاء رابط. وبالإضافة إلى الرّبط بين ركني

---

[1]- ابن يعيش: شرح المفصل، 4 / 13.

[2]- ينظر: كوثر الجنيد: أدوات الشّرط عند النّحاة، دراسة تطبيقية في مسند الإمام أحمد بن حنبل، بحث مقدم لنيل درجة الماجستير، كلية اللّغة العربيّة، قسم الدراسات النحوية واللغوية، جامعة أم درمان الإسلامية، 2002م، ص 46.

[3]- ينظر: الشلوبي، شرح المقدمة الجزولية، تح: تركي العتيبي، مكتبة الرشد، الرياض، السعودية، ط1، 1993م، 2/ 502. وابن هشام، مغني اللبيب، ص 320.

الجملة الشّرطيّة بالفاء، أدّت أداة الشّرط وظيفة الرّابط بين هذين الركنين والدّلالة على تعلّق جملة الجواب بجملة الشّرط، ممّا ساعد على اتّساق النصّ تركيبيّا وانسجامه دلاليّا.

ومن أمثلة الرّبط بالأداة (مَنْ) في سورة الكهف قوله تعالى: ﴿ وَقُلِ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡۚ إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمۡ سُرَادِقُهَاۚ وَإِن يَسۡتَغِيثُواْ يُغَاثُواْ بِمَآءٖ كَٱلۡمُهۡلِ يَشۡوِي ٱلۡوُجُوهَۚ بِئۡسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتۡ مُرۡتَفَقٗا ٢٩ ﴾.

تضمّنت الآية الكريمة تركيبين شرطيين حيث تألّفت الجملة الشّرطيّة الأولى (فَمَنْ شَاءَ فليُؤمِنْ) من أداة الرّبط (مَنْ) وجملة الشّرط (شَاءَ..) وهي جملة فعليّة فعلها فعل ماض، وجملة الجواب (فلْيُؤمن..) وهي جملة فعليّة مضارعيّة طلبيّة[1]، والفاء رابط بين ركني الجملة الشّرطيّة، كما أدّت أداة الشّرط (مَنْ) دور الرّابط بين طرفي الجملة الشّرطيّة ممّا ساعد على اتّساق النصّ باجتماع رابطين (الفاء) و(مَنْ).

وتألّفت الجملة الثانية من النّمط التركيبيّ نفسه؛ حيث تألّفت أيضا من أداة الشّرط (مَنْ) وجملة الشّرط (شاء) وهي جملة فعليّة ماضويّة، وجملة جواب الشّرط (فليكفرْ) وهي أيضا جملة فعليّة طلبيّة، ساهمت فيها الفاء وأداة الشّرط في اتّساق النصّ بالرّبط بين ركني التركيب الشّرطيّ والدّلالة على تعلّق ركني التركيبين الشّرطيين أحدهما بالآخر.

ومن قبيل هذا النّمط التركيبيّ في سورة الكهف قوله تعالى: ﴿ قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا ١١٠ ﴾.

جملة الشّرط في هذه الآية هي قوله تعالى: (فمَنْ كان يرجو...فليعملْ...) وهي مصدرة بأداة الشّرط (مَنْ) تليها جملة الشّرط (كان يرجو...) وهي جملة مؤلّفة من النّاسخ (كان) ومعموله الضّمير المستتر وخبره الجملة الفعليّة (يرجو..)، وجملة الجواب

[1]– ينظر: الكتاب، 3/ 68.

(لِيَعمَلْ..) وهي جملة فعليّة مضارعيّة طلبيّة، والفاء رابط. وبالإضافة إلى دلالة أداة الشّرط (مَنْ) على تعلّق جواب الشّرط بفعل الشّرط، ساعدت على اتّساق النصّ بأدائها وظيفة الرّابط بين ركني الجملة الشّرطيّة...

د- أسماء الشّرط غير الجازمة :

- **الرّبط بالأداة " إذا ":** " إذا " ظرف لما يستقبل من الزّمان متضمّن معنى الشّرط. جاء في مغني اللّبيب: << والثاني من وجهي " إذا " أن تكون لغير مفاجأة، فالغالب أن تكون ظرفا للمستقبل متضمّنة معنى الشّرط >>[1]، ووصفها صاحب الكتاب بقوله: << وأمّا " إذا" فلما يستقبل من الدّهر وفيها مجازاة وهي ظرف>>[2].

وردت (إذا) بصورة لافتة في سورة الكهف باعتبارها عنصرا من عناصر اتّساق النصّ، حيث وردت في عشر آيات، من ذلك قوله تعالى: ﴿۞ وَتَرَى ٱلشَّمۡسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهۡفِهِمۡ ذَاتَ ٱلۡيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقۡرِضُهُمۡ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَهُمۡ فِي فَجۡوَةٖ مِّنۡهُۚ ذَٰلِكَ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِۗ مَن يَهۡدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلۡمُهۡتَدِۖ وَمَن يُضۡلِلۡ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيّٗا مُّرۡشِدٗا ١٧﴾.

فهذه الآية الكريمة اشتملت على جملتين شرطيتين؛ تتألّف الجملة الشّرطيّة الأولى من (إذا) وهي ظرف لما يستقبل من الزّمان متضمّن معنى الشّرط، وجملة الشّرط (طلعت) وهي جملة فعليّة فعلها ماض دالّ على الاستقبال، وجملة جواب الشّرط (تزاور) وأصلها (تتزاور) وهي جملة فعليّة مضارعيّة. والثانية مصدّرة أيضا بالأداة (إذا) متبوعة بجملة الشّرط (غربت) وهي جملة فعليّة ماضويّة دالّة على الاستقبال، وجملة الجواب (تقرضهم) وهي جملة فعليّة مضارعيّة[3]. وبالإضافة إلى دلالة (إذا) على زمن الفعل وعلى الشّرط،

[1]- ابن هشام: مغني اللبيب، ص 102.

[2]- سيبويه: الكتاب، 3/ 10.

[3]- ينظر: شرح الكافية، 5/ 116.

أدت وظيفة اتّساقيّة إذ ربطت بين جملة فعل الشّرط وجملة جواب الشّرط، وأفادت تعلّق جملة الجواب بجملة الشرط.

ومن الآيات التي أدّت فيها (إذا) وظيفة الرّبط بين عناصر التركيب قوله تعالى: ﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ وَٱذۡكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلۡ عَسَىٰٓ أَن يَهۡدِيَنِ رَبِّي لِأَقۡرَبَ مِنۡ هَٰذَا رَشَدٗا ٢٤﴾.

فأداة الشّرط هي (إذا) الظّرفيّة المتضمّنة معنى الشّرط، وجملة الشّرط (نسيت) وهي جملة فعليّة ماضويّة، وجملة الجواب وردت متقدّمة على جملة الشّرط، وهي جملة (اذكر..) وهي جملة فعليّة طلبية، ويمكن اعتبار جملة جواب الشّرط محذوفة دلّ عليها ما قبلها، أي: فاذكر[1]، وساهمت الأداة (إذا) في اتّساق النصّ وذلك بالرّبط بين جملة الشّرط وجملة جواب الشّرط وإفادة أنّ جملة الجواب متعلّقة ومسبّبة عن جملة الشّرط.

ومن الشّواهد التي أدّت فيها " إذا " هذه الوظيفة قوله تعالى: ﴿فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِي ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَاۖ قَالَ أَخَرَقۡتَهَا لِتُغۡرِقَ أَهۡلَهَا لَقَدۡ جِئۡتَ شَيۡـٔٗا إِمۡرٗا ٧١﴾.

تتألّف الجملة الشّرطيّة في هذه الآية من أداة الشّرط (إذا) وهي ظرفيّة متضمّنة معنى الشّرط، وفعل الشّرط (ركبا ..) وهي جملة فعليّة ماضويّة في محل جرّ بإضافة الظرف إليها، وجملة الجواب (خرقها) وهي أيضا جملة فعليّة ماضويّة، وقد أجاز النّحاة مجيء فعل الشرط وفعل الجواب ماضيين لفظا أو معنى أو أحدهما لفظا والآخر معنى[2]. وأدّت " إذا " وظيفة اتّساق حيث ربطت بين جملة الشّرط وجملة الجواب، وأفادت أنّ جملة جواب الشّرط متعلّقة ومسبّبة عن جملة فعل الشّرط.

نلاحظ ممّا تقدّم أنّ أدوات الشّرط لا تدلّ على معانٍ معجميّة فحسب، وإنّما تدلّ على معنى وظيفيّ عام هو التعليق الشّرطيّ، فتتّفق جميعا في تعليق وقوع الجواب على وقوع الشّرط، وذلك في غير الشّرط الامتناعيّ. وإنّ الوظيفة النحويّة لأداة الشّرط هي الرّبط بين

[1]– ينظر: إعراب القرآن وبيانه، محي الدين درويش، 15/ 462.

[2]– ينظر: أحمد خضر حسنين الحسن، أسلوب الشرط معناه ودلالته، ص 221.

جملتي الشّرط والجزاء، ممّا يساعد على اتّساق النصّ وأمن اللّبس داخل السّياق الذي ترد فيه.

2/ الرّبط بالأدوات الواقعة في الأجوبة

أ- الرّبط بالفاء الجوابيّة :

من الأدوات التي تستخدم في تراكيب العربيّة الأدوات الّداخلة على الأجوبة، ونقصد بالأجوبة – هنا – جملتي جواب الشّرط (الجازم وغير الجازم)، وجملة جواب القسم. وأولى هذه الأدوات " الفاء" الرّابطة، ولفظ (الرّابطة) أطلقه ابن هشام، وفي ذلك يقول: << من أوجه الفاء أن تكون رابطة للجواب >>[1]. وليس معنى ذلك أنّ النحاة الذين سبقوا ابن هشام لم يتفطّنوا إلى دورها الرّابطيّ، فابن جنّي مثلا يشير إلى ذلك بكلّ وضوح حينما يقول: << إنّما دخلت الفاء في جواب الشّرط توصّلا إلى المجازاة بالجملة المركّبة من المبتدأ والخب، أو الكلام الذي يجوز أن يُبتدأ به، فالجملة في نحو قولك: إنْ تحسن إليّ فالله يكافئك، لولا الفاء لم يرتبط أوّل الكلام بآخره>>[2]. ويذكر الجرجانيّ أنّ: << الفاء في جواب الشّرط نحو: إن تأتيني فأنت مُكرم، فإنّها وأن لم تكن عاطفة فإنّ ذلك لا يخرجها من أن تكون بمنزلة العاطفة في أنّها جاءت لتربط جملة ليس من شأنها أن ترتبط بنفسها >>[3]. والفاء الرّابطة تقع في جملة جواب الشّرط الجازم كما في المثالين اللذين ذكرهما ابن جني والجرجاني، وتقع في جملة جواب الشّرط غير الجازم، كما في قول المتنبي:

وإذا أتتك مذمّتي من ناقص فهي الشّهادة لي بأنّي كامل

ويبدو أنّ العربية تلجأ إلى الرّبط بالفاء في جملة الجواب من أجل الزيادة في إحكام الرّبط بين جملتي الشّرط والجواب من جهة، ولأمن اللّبس في الانفصال من جهة أخرى.

---

[1]- ابن هشام: مغني اللبيب، 2/ 186.

[2]- ابن جني: سر صناعة الإعراب، 1/ 252 – 253

[3]- الجرجاني: دلائل الإعجاز، ص 214.

وقد ورد الرّبط بالفاء – بالنظر إلى طبيعة جملة الجواب – في سورة الكهف وفق الأنماط الآتية :

النّمط الأوّل: أداة الشّرط + فعل الشّرط + الفاء الرّابطة + جواب الشّرط (جملة فعليّة منفيّة) نحو قوله تعالى: ﴿۞ وَتَرَى ٱلشَّمۡسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهۡفِهِمۡ ذَاتَ ٱلۡيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقۡرِضُهُمۡ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَهُمۡ فِي فَجۡوَةٖ مِّنۡهُۚ ذَٰلِكَ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِۗ مَن يَهۡدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلۡمُهۡتَدِۖ وَمَن يُضۡلِلۡ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيّٗا مُّرۡشِدٗا ١٧﴾.

نلاحظ في هذه البنية التركيبيّة أنّ جملة جواب الشّرط وردت جملة فعليّة مضارعيّة منفيّة بـــ (لَنْ) وهي جملة (لَنْ تجد له وليّا مرشدا). فالأداة (لَنْ) في صدر جملة جواب الشّرط دلّت على النّفي، وعيّنت الفعل المضارع (تجد) لزمن المستقبل، وأدّت وظيفة الرّبط؛ حيث ربطت جملة جواب الشّرط بجملة الشّرط. وبالإضافة إلى هذا الرابط جِيءَ بالفاء لتؤدّي أيضا وظيفة الرّبط فربطت جملة جواب الشّرط بجملة الشّرط، ممّا ساعد على اتّساق النصّ والتحام عناصره.

النّمط الثّاني: أداة الشّرط + فعل الشّرط + الفاء الرّابطة + جملة جواب الشّرط (جملة فعليّة طلبيّة)، نحو قوله تعالى: ﴿ وَقُلِ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡۚ إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمۡ سُرَادِقُهَاۚ وَإِن يَسۡتَغِيثُواْ يُغَاثُواْ بِمَآءٖ كَٱلۡمُهۡلِ يَشۡوِي ٱلۡوُجُوهَۚ بِئۡسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتۡ مُرۡتَفَقٗا ٢٩﴾.

نلاحظ في هذا التركيب الجمليّ اشتمل على تركيبين شرطيين: الأوّل هو جملة (**مَنْ شاءَ فليؤمِنْ**) فجملة الشّرط وردت جملة اسميّة مؤلّفة من اسم الشّرط (مَنْ) الواقع مبتدأ وخبره ورد جملة فعليّة (شاءَ..) وجواب الشّرط ورد جملة فعليّة طلبيّة (فَلْيُؤْمِنْ)، والثاني ورد على نفس الصورة؛ عبارة عن جملة الشّرط الاسميّة (مَنْ شاءَ..) وجملة الجواب الجملة الفعليّة الطلبيّة (فَليكفُرْ). وقد اقترنت جملة جواب الشّرط بفعل الشّرط أوّلا بواسطة

لام الأمر المقترنة بالفعلين المضارعين (يؤمن – يكفر)، واقترنت ثانيا بالفاء الرّبطة وهذا تقويّة للرّبط، ممّا أسهم في اتّساق النصّ وتماسك عناصره.

النّمط الثّالث: أداة الشّرط (إنْ) + فعل الشّرط (اتّبعتني..) + الفاء الرّابطة + جملة جواب الشّرط (فعل مضارع مجزوم بـــ "لا" النّاهية)، نحو قوله تعالى: ﴿قَالَ فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِى فَلَا تَسْـَٔلْنِى عَن شَىْءٍ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٧٠﴾ ﴾.

نلاحظ في هذا التركيب الشّرطيّ أنّ جملة الشّرط (إنْ اتّبعتني..) وردت جملة فعليّة ماضويّة مسبوقة بحرف الشّرط (إنْ) الذي عيّن زمن الفعل للاستقبال، وجملة جواب الشّرط وردت جملة فعليّة طلبيّة مؤلّفة من: " لا " الناهية الجازمة، والفعل المضارع المجزوم (تُصاحبْني..). وجملة الجواب ورد مقترنة بجملة الشّرط بقرينتي ربط؛ القرينة الأولى هي "لا " النّاهية، ثمّ جيءَ بالفاء الرّابطة لتقويّة الرّبط، وهذا ما جعل عناصر النصّ أكثر اتّساقا وتماسكا تركيبيّا وأكثر انسجاما دلاليّا؛ حيث أفادت الفاء أنّ ما بعدها هو جواب جملة الشّرط وليست جملة منفصلة تركيبيّا ودلاليّا عن جملة فعل الشّرط.

النّمط الرّابع: أداة الشّرط والتفصيل (أمّا) + فعل الشّرط (مَنْ آمن...) + الفاء الرّابطة + جملة جواب الشّرط (جملة فعليّة مضارعيّة)، نحو قوله تعالى: ﴿قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨٧﴾ ﴾.

تألّفت هذه البنية التركيبيّة من أداة الشّرط والتفصيل (أمّا) التي تؤوّل بـــ مهما يكن، وجملة فعل الشّرط (مَنْ ظلم) وهي جملة اسميّة مكوّنة من الفعل الماضي الناقص المؤوّل بـــ (يكن) واسمه الوارد اسم موصول (مَنْ)، وجملة جواب الشّرط وهي جملة فعليّة مضارعيّة مسبوقة بـــحرف التنفيس " سوف " (سوف نعذّبه...). وتضافر رابطان لربط جملة جواب الشّرط بجملة فعل الشّرط؛ الرابط الأوّل هو حرف التنفيس " سوف"، والرابط الثاني هو حرف الفاء، وهذا زاد ركني البنية التركيبيّة اتّساقا وانسجاما.

النّمط الخامس: أداة الشّرط والتفصيل (أمّا) + جملة الشّرط (مَنْ آمَنَ...) + الفاء الرّابطة + جملة جواب الشّرط (جملة اسميّة)، نحو قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴿٨٨﴾ ﴾.

الجملة الشّرطيّة في هذه الآية مؤلّفة من أداة الشّرط والتفصيل (أمّا) وهي تؤوّل بجملة مهما يكن واسمه الوارد اسم موصول (مَن) وجملة جواب الشّرط (فله جزاءً الحسنى) وهي جملة اسميّة. وجاءت الفاء رابطة بين جملتي الشّرط وجوابه، ولولاها لما تبيّن أنّ ما بعدها جواب لما قبلها ولتُوهّم أنّ ما بعدها جملة مستقلّة عن سابقتها، وبهذه القرينة ازدادت عناصر التركيب الشّرطي ارتباطا واتّساقا وتحقّق الانسجام الدّلاليّ في الآية.

ب- الرّبط باللّام: وتسمّى لام الجواب، وهي ثلاثة أقسام[1]: لام جواب " لَوْ " نحو قوله تعالى: ﴿لَوْ تَزَيَّلُوا۟ لَعَذَّبْنَا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٢٥﴾ ﴾ [الفتح 25]، ولام جواب " لولا " نحو قوله تعالى: ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٥١﴾ ﴾ [البقرة 251]، ولام جواب القسم نحو قوله تعالى: ﴿ قَالُوا۟ تَٱللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ ﴿٩١﴾ ﴾ [يوسف 91].

وتلجأ العربيّة – كذلك – إلى الرّبط باللّام في جملة الجواب من أجل زيادة إحكام الرّبط بين جملتي الشّرط أو القسم وجوابيهما من جهة، ولأمن اللّبس في الانفصال من جهة أخرى، وهذا ما أكّد عليه الدكتور تمّام حسان بقوله: << الأدوات الدّاخلة على الأجوبة لها وظيفتان أساسيتان: الأولى هي الرّبط وإيضاح أنّ الكلام يأخذ بعضه بحجز بعض،

[1]– ابن هشام: مغني اللبيب، 2/ 186.

والثانية أمن اللّبس بجعل الأداة الدّاخلة على الجواب قرينة على أنّ ما بعدها جواب وليس شيئا آخر>>[1].

وفي سورة الكهف، وردت اللّام قرينة ربط في ضربين من الجواب، جوابا لـــ (لَوْ) أربع مرّات، وجاءت جوابا للقسم ثماني مرّات، موزّعة على الأنماط الآتية :

1- الواقعة جوابا لـــــ (لَوْ): ورد الرّبط باللّام في نمطين تركيبيين، على النّحو الآتي :

النّمط الأوّل: أداة الشّرط (لَوْ) + حملة الشّرط (جملة فعليّة ماضويّة) + اللّام الرّابطة + جملة جواب الشّرط (جملة فعليّة ماضويّة)، نحو قوله تعالى: ﴿وَتَحۡسَبُهُمۡ أَيۡقَاظٗا وَهُمۡ رُقُودٞۚ وَنُقَلِّبُهُمۡ ذَاتَ ٱلۡيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِۖ وَكَلۡبُهُم بَٰسِطٞ ذِرَاعَيۡهِ بِٱلۡوَصِيدِۚ لَوِ ٱطَّلَعۡتَ عَلَيۡهِمۡ لَوَلَّيۡتَ مِنۡهُمۡ فِرَارٗا وَلَمُلِئۡتَ مِنۡهُمۡ رُعۡبٗا ١٨﴾.

نلاحظ في هذه البنية التركيبيّة أنّ أداة الشّرط هي (لَوْ)، وهي حرف امتناع لامتناع؛ أي امتنع جواب الشّرط لامتناع فعل الشّرط، وجملة فعل الشّرط (اطّلعتَ) وردت جملة فعليّة ماضويّة، وجملة جواب الشّرط (لولّيْتَ) وردت كذلك جملة فعليّة ماضويّة، وقد قرنت جملة جواب الشّرط بجملة فعل الشّرط باللّام الرّابطة، التي لولاها لما تبيّن أنّ الجملة التي بعدها هي جملة جواب الشّرط ولَتُخيّل أنّها جملة منفصلة عمّا قبلها، وبهذا ساهمت اللّام في اتّساق النصّ القرآنيّ بالرّبط بين ركني الجملة الشّرطية، وبيان تعلّق جملة الجواب بجملة الشرط مما ساعد على أمن اللّبس وانسجام النصّ دلاليّا.

وشبيه بهذا التركيب ما ورد في قوله تعالى: ﴿ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهۡلَ قَرۡيَةٍ ٱسۡتَطۡعَمَآ أَهۡلَهَا فَأَبَوۡاْ أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارٗا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُۥۖ قَالَ لَوۡ شِئۡتَ لَتَّخَذۡتَ عَلَيۡهِ أَجۡرٗا﴾.

فهذه البنية الجمليّة الشّرطيّة مؤلّفة من أداة الشّرط (لَوْ)، تليها جملة فعل الشّرط (شِئْتَ)، وهي جملة فعليّة ماضويّة، وجملة جواب الشّرط (اتّخذتَ) وهي جملة فعليّة

[1] - تمّام حسان: البيان في روائع القرآن، 1/ 137.

ماضويّة أيضا. وفعلا جملة الشّرط وجملة جواب الشّرط ماضيان دالان على الاستقبال باعتبار الخطاب الشّرطيّ خطابا مستقبليّا. واقترنت جملة الجواب بجملة الشّرط بواسطة اللّام الرّابطة التي أدّت وظيفة الرّبط بين ركني التركيب الشّرطيّ، كما ساهمت في الدّلالة على تحقّق جواب الشّرط، وهذا ما زاد النصّ اتّساقا تركيبيّا وانسجاما دلاليّا.

النّمط الثّاني: أداة الشّرط (لَوْ) + جملة الشّرط (جملة فعليّة مضارعيّة) + اللّام الرّابطة + جملة جواب الشّرط (جملة فعليّة ماضويّة)، نحو قوله تعالى: ﴿وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِ ۖ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُوا۟ لَعَجَّلَ لَهُمُ ٱلْعَذَابَ ۚ بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ لَّن يَجِدُوا۟ مِن دُونِهِۦ مَوْئِلًا ﴿٥٨﴾ ﴾.

نلاحظ في هذه البنية الجمليّة أنّ جملة الشّرط صُدّرت بأداة الشّرط (لَوْ) وهي كما سبق ذكره حرف امتناع لامتناع، تليها جملة الشّرط، وهي جملة فعليّة مضارعيّة بخلاف المعهود (يؤاخذهم..) فجملة جواب الشّرط (عَجّلَ..) وهي جملة فعليّة ماضويّة دلّ فعلها الماضي على الاستقبال باعتبار الفعل الشّرطيّ فعلا مفيدا الدّلالة على حدوث الفعل وتحقق الشّرط في المستقبل. وقد اقترنت جملة الجواب بجملة الشّرط باللّام الرّابطة ممّا جعل النصّ أكثر ترابطا واتّساقا بنيويّا وأكثر انسجاما دلاليّا؛ لأنّ اللّام الرّابطة هي التي أفادت بأنّ الجملة بعدها هي جملة جواب الشّرط وليست بجملة مستأنفة

2- الرّبط بلام جواب القسم :

وردت – في سورة الكهف – العديد من التراكيب مؤلّفة – في الغالب – من جملتين متلازمتين مرتبطتين باللّام الدّاخلة على الحرف (قَدْ) وذلك في ستّ آيات، وغير متّصلة به في آيتين، وذلك على النّحو الآتي :

أ- مقترنة بـــــ (قَدْ): وردت في الأنماط التركيبيّة الآتية :

النّموذج الأوّل: قال تعالى: ﴿وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا۟ فَقَالُوا۟ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَا۟ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهًا ۖ لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا ﴿١٤﴾ ﴾.

نلاحظ أنّ جملة (قد قلنا إذًا شططا) مؤلّفة من جملتين متلازمتين: جملة قسم محذوف، وجملة جواب القسم التي وردت جملة فعليّة ماضويّة. وجملة جواب القسم[1] ارتبطت بجملة القسم المحذوفة برابطين (اللّام) و (قد) التي تفيد التحقيق، وقد أدّى الرّابطان وظيفة الرّبط، حيث ربطا جملة جواب القسم بجملة القسم المحذوفة، ممّا ساعد على اتّساق النصّ تركيبيّا وانسجامه دلاليّا؛ إذ لولا (اللام) الواقعة في جواب القسم لتُوهِّمَ أنّ ما بعدها جملة تفسيريّة أو جملة مستأنفة وليست جملة جواب القسم.

النّموذج الثّاني: ومن قبيل النّمط التركيبيّ السّابق قوله تعالى: ﴿ وَعُرِضُواْ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍۭ ۚ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا ﴿٤٨﴾ ﴾.

يتألّف هذا النّموذج التركيبيّ من جملة قسم، حذفت فيها جملة القسم وأبقي على جملة جواب القسم (لقد جئتمونا) وهي جملة فعليّة ماضويّة اقترنت بجملة فعل القسم برابطين: اللام وحرف التحقيق (قد)[2]، حيث أبانت اللّام الواقعة في جواب القسم أنّ الجملة بعده هي جملة جواب قسم محذوفة، وليست جملة مستأنفة منفصلة عنها، وأفادت (قد) تحقيق حدوث الفعل. فالرّابطان ساهم في اتّساق النصّ وتلاحم عناصره التركيبيّة، وأدّت اللّام وظيفة دلاليّة إذ لولاها لما تبيّن أنّ ما بعدها هي جملة جواب قسم مرتبطة بجملة القسم المحذوف، وبذلك تلاحمت جملتا القسم دلاليّا.

النّموذج الثّالث: ومن أمثلة هذا التركيب قوله تعالى: ﴿فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِى ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَا ۖ قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا إِمْرًا ﴿٧١﴾﴾.

اشتملت هذه الآية على أسلوب قسم مؤلّف من جملة قسم محذوفة وجملة جواب قسم[3] وردت جملة فعليّة ماضويّة (لقد جئت..). وجملة جواب القسم ارتبطت تركيبيّا ودلاليّا

---

[1]- ينظر: محي الدين درويش، إعراب القرآن وبيانه، ص 450.

[2]- ينظر: المرجع نفسه، 15/ 506.

[3]- ينظر المرجع نفسه، 15/ 528,

بجملة القسم المحذوفة برابطين ساعدا على اتّساق النصّ وتماسك عناصره. والرّابطان هما اللّام الواقعة في جواب القسم و(قدْ) التي سبقت الفعل الماضي فأفادت الدّلالة على تحقيق وقوع الفعل في الزّمن الماضي. واللّام الرّابطة أدّت وظيفة ثانية؛ وهي وظيفة دلاليّة إذ لولاها في صدر جملة جواب القسم لما اتّضح – دلاليّا – أنّ هذه الجملة مرتبطة عضويّا ودلاليّا بجملة القسم المحذوفة، ولما تبيّن أنّ الأسلوب في هذه الجملة أسلوب قسم.

النّموذج الرّابع: ومن قبيل هذا النموذج التركيبيّ قوله تعالى: ﴿فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَٰمًا فَقَتَلَهُۥ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةًۢ بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا ﴿٧٤﴾﴾.

هذا النّموذج التركيبيّ شبيه بسابقه، إذ تألّف من جملتين تشكّلان أسلوب قسم؛ الجملة الأولى وهي جملة قسم محذوفة، وجملة جواب القسم وهي جملة ماضويّة (لقد جئتَ..)[1]، وجملة الجواب هذه اقترنت بجملة القسم برابطين ساهم في اتّساق النصّ وارتباط عناصره تركيبيّا، هما اللّام وقَدْ. فالحرف (قدْ) أفاد دلالة تحقّق حدوث الفعل في الزّمن الماضي، واللّام أدّت وظيفتين: وظيفة الرّابط بين جملة الشّرط وجملة جواب الشّرط، ووظيفة دلاليّة حيث أفادت أنّ الجملة بعدها (جئت..) هي جملة جواب القسم وليست جملة مؤدّية لوظيفة جمليّة أخرى.

ب- غير مقترنة بـــ (قدْ): ورد هذا النّموذج في سورة الكهف، حيث وردت اللام مقترنة بجملة جواب القسم مؤدّية دورا رابطيّا، كما في قوله تعالى:

﴿وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوٓاْ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَآ إِذْ يَتَنَٰزَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ ۖ فَقَالُواْ ٱبْنُواْ عَلَيْهِم بُنْيَٰنًا ۖ رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ ۚ قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُواْ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا ﴿٢١﴾﴾.

[1]– محي الدين درويش، إعراب القرآن وبيانه، 15/ 550

اشتملت هذه الآية الكريمة على جملة مقول قول ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا ﴾، مؤلّفة من جملتين متلازمتين: جملة قسم محذوف، وجملة جواب قسم[1] (لنتخذنّ...) وهي جملة فعليّة ماضويّة. وقد اقترنت جملة جواب القسم برابط (اللّام) ربطها بجملة القسم المحذوف. فبالإضافة إلى الدّور الرّابطيّ للّام، أدّت اللّام وظيفة دلاليّة إذ أفادت هذه اللّام أنّ الجملة بعدها (نتخذنّ...) هي جملة جواب القسم وليست جملة منفصلة تؤدي وظيفة تركيبيّة مختلفة، ومن ثمّ أبانت أنّ جملة مقول القول هي جملة إنشائيّة غير طلبيّة مؤلّفة من جملتين متلازمتين: جملة القسم وجملة جواب القسم.

ومن أمثلة هذا النّمط التركيبيّ قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴿٣٦﴾ ﴾.

اشتملت هذه البنية التركيبيّة على جملة قسم مؤلّفة من جملة قسم محذوفة وجملة جواب قسم[2] اقترنت بجملة القسم باللّام التي بالإضافة إلى كونها رابطيّة ساهمت في اتّساق النصّ وترابط عناصره التركيبيّة، أدّت وظيفة دلاليّة إذ أفاد وجود اللّام صدر جملة جواب القسم أنّ الجملة بعدها مرتبطة عضويّا ودلاليّا بجملة القسم المحذوفة، ولولاها لما أُمن اللّبس ولَمَا تبيّن لنا أنّ الأسلوب في هذه الآية أسلوب قسم، وعليه فاللّام أسهمت في اتّساق النصّ تركيبيّا وانسجامه دلاليّا.

3- الرّبط بواو الحال :

تأتي الحال مفردة كما تأتي جملة نائبة عن المفرد، وإذا جاءت جملة لا بدّ لها من رابط يربطها بصاحبها (صاحب الحال) ليكون المعنى متّصلا بين جملة الحال والجملة

[1]- ينظر: محي الدين درويش، إعراب القرآن وبيانه، 15/ 459.

[2]- المرجع نفسه، 15/ 493.

المشتملة على صاحب الحال. وهذا الرابط قد يكون ضميرا، وقد يكون وَاوًا تسمّى بواو الحال، وقد يكون الواو والضّمير معا[1].

فواو الحال – إذن – تؤدّي وظيفة الضّمير في الرّبط بين جملة الحال والجملة المشتملة على صاحب الحال، وهذا ما أشار إليه المبرّد في تعليقه على المثال: مررتُ برجلٍ أبوه منطلقٌ. فقال: << ولو وضعت في موضع رجل معرفة لكانت الجملة في موضع حالٍ، فعلى هذا تجري الجمل، وإذا كان في الثانية ما يرجع إلى الأوّل جاز ألا تعلّقه به بحرف العطف، وإن علّقته به فجيّد. وإذا كان الثاني لا شيء منه يرجع إلى الأوّل فلا بدّ من حرف العطف >>[2]. ومثل هذا الكلام نعثر عليه في شرح المفصل: << وإنّما جاز استغناء هذه الجملة – يقصد جملة (جاء زيد وعمرو ضاحك) – عن ضمير يعود منها إلى صاحب الحال من قبل أنّ الواو أغنت عن ذلك بربطها ما بعدها بما قبلها، فلم تحتج إلى ضمير مع وجودها، فإن جئت بالضّمير معها فجيّد، لأنّ في ذلك تأكيد ربط الجملة بما قبلها >>[3].

فواو الحال تؤدّي وظيفة الضّمير العائد، وهذا الأخير قد لا يكفي وحده لربط جملة الحال بالجملة المشتملة على صاحب الحال، وذلك عندما تأتي الحال جملة اسميّة، ويكون صدر الجملة ضميرا، ففي هذه الحالة لا يمكن الاستغناء عن الواو مطلقا، وهذا ما ذهب إليه الجرجاني في قوله: << فإن كان المبتدأ من الجملة ضمير ذي الحال، لم يصلح بغير الواو البتّة، وذلك كقولك: جاءني زيد وهو راكب، ورأيت زيدا وهو جالس... فلو تركت الواو في شيء من ذلك لم يصلح، فلو قلت: جاءني زيد هو راكب، ودخلت عليه هو يملي، لم يكن كلاما >>[4].

---

[1]– المبرّد: المقتضب، 4/ 125.

[2]– المصدر نفسه، 4/ 125 .

[3]– ابن يعيش: شرح المفصل، 2/ 65.

[4]– الجرجاني: دلائل الإعجاز، ص 202.

وسورة الكهف اشتملت على العديد من التراكيب الجمليّة التي وردت فيها الحال جملة وأدّت فيها (واو الحال) دور الرّابط بين الحال الجملة والجملة المشتملة على صاحب الحال، من ذلك قوله تعالى: ﴿۞ وَتَرَى ٱلشَّمۡسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهۡفِهِمۡ ذَاتَ ٱلۡيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقۡرِضُهُمۡ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَهُمۡ فِي فَجۡوَةٖ مِّنۡهُۚ ذَٰلِكَ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِۗ مَن يَهۡدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلۡمُهۡتَدِۖ وَمَن يُضۡلِلۡ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيّٗا مُّرۡشِدٗا ١٧﴾.

فهذه الآية اشتملت على جملة حاليّة، اسميّة (وهم في فجوة منه) اجتمع فيها رابطان الواو والضّمير(هم)، وواو الحال – ههنا– عقدت الصّلة المعنويّة بين جملة الحال والجملة التي قبلها المشتملة على صاحب الحال (مفعول تقرضهم)، وهذا هو الدّور المنوط بها، فهي تضمّ ما بعدها إلى ما قبلها حتى لا يُظنّ أنّ الجملة بعدها مستأنفة.

وواو الحال – في مثل هذه الأمثلة – تُفيد مصاحبة ما بعدها لما قبلها، ولهذا عدّها بعض النّحاة للمعيّة[1]. وسواء كانت للمعيّة أم لم تكن فإنها تعدّ في النّحو العربيّ من ظواهر قرائن الرّبط، وتعدّ في لسانيات النصّ من الأدوات المفضية إلى الاتّساق النصّيّ على مستوى البنية السّطحيّة للنصّ، شأنها في ذلك شأن الضّمير.

ومن الآيات التي أدّت فيها واو الحال وظيفة الرّابط بين الحال وصاحبها قوله تعالى: ﴿وَتَحۡسَبُهُمۡ أَيۡقَاظٗا وَهُمۡ رُقُودٞۚ وَنُقَلِّبُهُمۡ ذَاتَ ٱلۡيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِۖ وَكَلۡبُهُم بَٰسِطٞ ذِرَاعَيۡهِ بِٱلۡوَصِيدِۚ لَوِ ٱطَّلَعۡتَ عَلَيۡهِمۡ لَوَلَّيۡتَ مِنۡهُمۡ فِرَارٗا وَلَمُلِئۡتَ مِنۡهُمۡ رُعۡبٗا ١٨﴾

اشتملت هذه الآية على جملتين اسميتين وقعتا حالا؛ جملة الحال الأولى هي (وهم رقود)، والجملة الثانية هي (كلبهم باسط ذراعيه..). وقد اجتمع في هذه الآية رابطان ربط جملة الحال الاسميّة بالجملة المشتملة على صاحب الحال، فالرّابط في الجملة الحالية الأولى هو (الواو والضّمير المنفصل (همْ))، والرّابط في الجملة الحالية الثانية هو (الواو

[1]– تمام حسان: البيان في روائع القرآن، 1/ 158.

والضّمير المتصل " هم")، واجتماع الرّابطين ساعد على اتّساق النصّ بربط بين جملتين جملة الحال والجملة المشتملة على صاحب الحال.

ومن أمثلة هذه البُنى التركيبيّة قوله تعالى: ﴿ وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴿٣٤﴾ ﴾.

وردت الحال في هذه الآية جملة اسميّة مؤلّفة من المبتدأ (هو) والخبر الوارد جملة فعليّة (يحاوره)، واقترنت الجملة الواقعة خبرا بالمبتدأ الضّمير المنفصل (هو) بالضّمير المتّصل (الهاء) الواقع مفعولا به للفعل المتعدّي (يحاور)، واقترنت جملة الحال (هو يحاوره) بصاحب الحال قبلها بالواو والضّمير المنفصل (هو) معًا، ممّا ساعد على اتّساق النصّ وتلاحم عناصره تركيبيّا وانسجامها دلاليّا.

ومن قبيل هذا التركيب ما نجده في قوله تعالى: ﴿قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ﴿٣٧﴾ ﴾.

اشتملت هذه الآية على حال وردت جملة اسميّة (هو يحاوره) مؤلّفة من المبتدأ الضّمير المنفصل (هو) والخبر الواقع جملة فعليّة (يحاوره) المشتملة على ضمير رابط عائد منها إلى المبتدأ، وقد اقترنت الحال الجملة (وهو يحاوره) برابطين ربطاها بالجملة المشتملة على صاحب الحال، وهذان الرّابطان هما الضّمير المنفصل (هو) وواو الحال، وهذا ساعد على اتّساق النصّ تركيبيّا وانسجامه دلاليّا.

ومن أمثلة هذا التركيب النحويّ قوله تعالى: ﴿ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٤٢﴾ ﴾ .

اشتملت هذه الآية – أيضا – على جملة اسميّة حالية مؤلّفة من المبتدأ الضّمير المنفصل للغائبة (هي) والخبر (خاوية)، واقترنت هذه الجملة الحالية برابطين ربطا الحال

بالجملة المشتملة على صاحب الحال، وهذان الرابطان يتمثلان في الضّمير(هي) وواو الحال، وبهذا ارتبطت عناصر التركيب بنيويّا وانسجم النصّ دلاليّا.

ومن أمثلة هذه البنى التركيبيّة في سورة الكهف قوله تعالى: ﴿وَوُضِعَ ٱلۡكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلۡمُجۡرِمِينَ مُشۡفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيۡلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلۡكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحۡصَىٰهَاۚ وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرٗاۗ وَلَا يَظۡلِمُ رَبُّكَ أَحَدٗا ﴿٤٩﴾ ﴾.

الحال في هذه الآية ورد جملة فعليّة مضارعيّة (لا يغادر صغيرة) واشتمل على رابط ربط جملة الحال بصاحبها، فصاحب الحال هو لفظ (الكتاب) والضّمير الرابط بين الحال وصاحبها هو الضّمير المستتر الواقع فاعلا للفعل (لا يغار)، وهذا ما ساعد على اتّساق النص وتلاحم تراكيبه..

ومن خلال النّماذج السّابقة يتبيّن لنا أنّ واو الحال تحدث تعالقا نصيّا بين التراكيب اللّغويّة داخل النصّ، حيث تعقد صلة ربط بين الجملة الواقعة حالا والجملة قبلها المشتملة على صاحب الحال، يُضاف إلى ذلك أنّ الضّمير قد يؤدّي الدّور نفسه ممّا يؤدّي إلى وحدة نصيّة متكاملة البناء.

1/ الرّبط بأدوات العطف :

حروف العطف هي مجموعة من الحروف التي تربط بين الكلمات في الجملة الواحدة كما تربط بين الجمل فيما بينها، إذ تلعب دورا كبيرا في سبك أجزاء النصّ، فالعطف هو إلحاق لفظ بلفظ آخر ويكون تابعه. ويكون هذا الإلحاق – أي إتباع المعطوف بالمعطوف عليه – بواسطة قرينة تحقّق اتّساق الكلام.

والعطف يكون في المفرد، أي عطف لفظ مفرد على لفظ آخر مفرد ليشركه في نفس الحكم <<ومعلوم أنّ فائدة العطف في المفرد أن يشرك الثاني في إعراب الأوّل وأنّه إذا أشركه في إعرابه فقد أشركه في حكم ذلك الإعراب، نحو أنّ المعطوف على المرفوع بأنّه فاعل مثله، والمعطوف على المنصوب بأنّه مفعول به أو فيه أو له >>[1].

فعطف المفرد على المفرد يكون لإشراك الثاني في إعراب الأول وحكمه، فعندما يكون المعطوف عليه مرفوعا يستلزم أن يكون المعطوف مرفوعا، فلا يصحّ أن نقول (مررت بزيد و محمدا) فالأصل أنّ محمّدا تابع لزيد فله نفس الحركة الإعرابيّة، والأصح أن نقول: مررت بزيد ومحمّد. ويكون العطف أيضا في الجمل ويكون على نوعين << أحدهما أن يكون للمعطوف عليها موضوع من الإعراب، وإذا كانت كذلك كان حكمها حكم المفرد، إذ لا يكون للجملة موضوعا من الإعراب حتى تكون واقعة موقع المفرد.(...) والذي يشكّل أمره هو الضّرب الثّاني وذلك أن تعطف على الجملة العارية الموضع من الإعراب جملة أخرى كقولك: زيد قائم وعمر قاعد، والعلم حسن والجهل قبيح، لا سبيل لنا إلّا أن ندعي أنّ الواو أشركت الثانية في إعراب قد وجب للأولى بوجه من الوجوه >>[2].

والجمل نوعان، جمل لها محل من الإعراب وجمل لا محلّ لها من الإعراب، وعند عطفها على بعضها يجب مراعاة هذا الأمر، فعطف الجمل التي لها محلّ من الإعراب

---

[1]– عبد القادر الجرجاني: دلائل الاعجاز، ص 153.

[2]– المرجع نفسه، ص 153 – 154 .

يكون فقط إذا استطعنا تأويل الجملة المعطوف عليها بمفرد – فيكون لها حكم المفرد– وبذلك يجري عليها مجرى العطف في المفرد بتوظيف حرف الواو، أمّا الضّرب الثاني من عطف الجمل، فهو العطف على الجملة التي لها محلّ من الإعراب، وهو ما يقع فيه الالتباس. وما له سبيل إلّا أن ندّعي أنّ الواو أشركت الثانية في حكم الأولى.

والعطف يكون بواسطة أدوات وحروف، هي عشرة يعدّدها مصطفى حميدة في كتابه " الرّبط والارتباط في تركيب الجملة العربية، << الواو، والفاء، وثم، وحتى، واو، وأم، وإما، ويل، ولكن، ولا. ويعد الرّبط بهذه الحروف في معظم الحالات قرينة لأمن اللّبس في فهم الانفصال >>[1]. وهذه الحروف ترفع اللّبس في فهم الكلام وتأمن عدم وقوع خلط بين الوصل والفصل.

– الرّبط بالواو العاطفة:

وأولى هذه الحروف العاطفة، حرف (الواو) الذي يعدّ أمّ الباب والأصل في الرّبط بالعطف حيث يربط بين الألفاظ المفردة والجمل << وتكون للجمع بين المعطوف والعطف عليه في الحكم والإعراب جمعا مطلقا بلا ترتيب ولا تعقيب >>[2]. ووظيفة الواو هي الجمع والمشاركة دون ترتيب أو تراخ، وزيادة عن كونه يجمع بين المعطوف والمعطوف عليه دون مهلة زمنية، فإنّ حرف الواو يعدّ رابطا أساسيّا في عملية ترتيب النّص واتّساقه، خاصّة النّصّ القرآنيّ، وقد تكرّر هذا الحرف في القرآن الكريم كثيرا، وورد في سورة الكهف مائة وثماني وأربعين مرة، منها قوله تعالى: ﴿سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًۢا بِٱلْغَيْبِ ۖ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ ۚ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ ۬ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَآءً ظَٰهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا ﴿٢٢﴾ ﴾.

---

[1]– مصطفى حمييدة: نظام الرّبط، الارتباط في ترتيب الجملة العربية، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، لبنان، ط 1،1997م، ص 201.

[2]– مصطفى غلابيني: جامع الدروس العربية، مراجعة: عبد المنعم خفاجة، المكتبة العصرية، صيدا، لبنان، (دط)، (د ت)، ص 245.

ذكر ابن عاشور في هذا السّياق: << لما شاعت قصة أهل الكهف ودارت على ألسنة الناس وصارت حديث العام والخاص، بادر الجميع بالسؤال عن عددهم، وكم لبثوا في كهفهم، وما قصتهم، وربّما أملي عليهم المنتصرة من العرب في ذلك قصصا فنزل القرآن الكريم بالحق ليقطع الشكوك حول هؤلاء الفتية ونبّه الناس لعدم الاشتغال بأمور لا تنفعهم ولا تنفع الدين الإسلامي >>[1].

ورد حرف " الواو " في هذه الآية أربع مرات، حيث ربط بين جملة (سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم) وجملة (يقولون خمسة سادسهم كلبهم)، ففي قوله تعالى " سيقولون ثلاثة " <<قيل إنّما أوتي بالسّين في هذا، لأنّ في الكلام طيّا وإدماجا، تقديره: فإذا أجبتهم عن سؤالهم عن قصة أهل الكهف فسلهم، فإنّهم سيقولون، ولم يأت بها في بقيّة الأفعال لأنّها معطوفة على ما فيه السّين فأعطيت حكمه من الاستقبال>>[2].

إنّ دلالة العطف في الكلام واضحة، وذلك من خلال حرف السين في الفعل (سيقولون) فهو كلام مدمج مع قبله، وبذلك أخذ حكمه من الاستقبال، والمقصود هنا أن الفعلين في جملتي" يقولون خمسة " و" يقولون سبعة " معطوفان على " سيقولون "، وبهذا أسهمت الواو في اتّساق النصّ، وذلك بالرّبط بين أجزاء التركيب، وبدمج عناصر القول والحكي في السّياق القصصيّ.

أمّا " الواو " في قوله تعالى " وثامنهم كلبهم " فهي تحمل عدّة أوجه: << أحدهما: أنها عاطفة، عطف هذه الجملة على جملة قوله (هم سبعة) فيكونون قد أخبروا بخبرين، الأوّل أنهم سبعة رجال على البت، والثاني أنّ ثامنهم كلبهم وهذا يؤذن أن جملة قوله " وثامنهم كلبهم " من كلام المتنازعين فيهم.

---

[1]– ينظر: محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، 15/ 290–291.

[2] – أحمد بن يوسف: الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، تح: أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق، سوريا، (د ط)، (د ت)، 7/ 465.

الثاني: أنّ " الواو " للاستئناف، أنّه من كلام الله تعالى أخبر عنهم بذلك، قال هذا القائل وجيء بالواو لتعطي انقطاع هذا ممّا قبله >>[1].

وإذا اعتبرنا أنّ " الواو " عاطفة حسب من قال بالرأي الأوّل في جملة (ثامنهم كلبهم) تصبح معطوفة على جملة (هم سبعة)، وبالتالي تصبح من كلام من اختلفوا في عدد الفتية، أمّا إذا أخذنا بالرّأي الثاني القائل بأنها (واو) استئناف فهي تفصل الخطاب عمّا قبله أي أنّ جملة (وثامنهم كلبهم) تكون منفصلة عن كلام من اختلفوا في عدد الفتية وتصبح من كلام الله أخبر عنهم بذلك.

بيد أنّ بعض النّحاة لهم رأي آخر، فيرون أنّ هذه (الواو) تسمّى واو الثمانية، وأنّه سمع عن قريش إذا أعدّوا يقولون: خمسة، ستة، سبعة و ثمانية, تسعة، أي يضيفون تلك الواو قبل الرّقم ثمانية، واستدلوا على ذلك بقوله تعالى ﴿**وفتحت أبوابها**﴾ (الزمر– 13) أي أنّ الجنّة ثمانية ولم يؤت بحرف الواو في أبواب النّار لأنّها سبعة.[2]

ومن الآيات التي كان للعطف بالواو فيها حضور بارز، قوله تعالى: ﴿ **إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَٱذۡكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلۡ عَسَىٰٓ أَن يَهۡدِيَنِ رَبِّي لِأَقۡرَبَ مِنۡ هَٰذَا رَشَدٗا ﴿٢٤﴾** ﴾.

جاء حرف الواو في بداية الآية الثالثة والعشرين وقد عطف جملة (ولا تقولن لشيء) على ما قبلها في الآية السابقة (ولا تستفت فيهم منهم أحدا)، فهو << عطف على الاعتراض >>[3] .

أمّا قوله تعالى: (واذكر ربّك إذا نسيت)، << عطف على النّهي، أي لا يعد بوعد فإن نسيت فقلت: إنّي فاعل، فاذكر ربّك أي تذكّر ما نهاك عنه، والمراد بالذكر التدارك وهو

---

[1]– أبو حفص عمر بن علي عادل الدمشقي الحنبلي: اللباب في علوم الكتاب، تح: عادل أحمد عبد الموجود وعلي معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1998 م، 12/ 455.

[2]– ينظر المرجع نفسه، 12/ 455.

[3]– محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، 295/15.

هنا مشتقّ من الذكر – بضم الذال– وهو كناية من لازم التذكر >>[1]، أي جملة (واذكر ربّك إذا نسيت) معطوفة على جملة (ولا تقولن لشيء) بمعنى اذكر ما نهاك عنه الله وتدارك ما نسيت.

وجملة (وقل عسى أن يهديني ربي) فهي << معطوفة على جملة (فلا تمار فيهم) ويجوز أن تكون جملة (وقل عسى أن يهديني ربي) عطفا على جملة (واذكر ربك إذا نسيت) أي اذكر أمره و نهيه وقل في نفسك حسبي أن يهديني لأقرب من هذا رشدا أي ادع الله بهذا >>[2].

ويستمر عطف الجمل والآيات على بعضها في هذه السورة كثيرا، وهذا من أهمّ مظاهر الاتّساق النصّيّ، و يتجلّى ذلك في قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَـٰنُ أَكْثَرَ شَىْءٍ جَدَلًا ﴿٥٤﴾ وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓا۟ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّهُمْ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ قُبُلًا ﴿٥٥﴾ ﴾.

عطف حرف الواو جملة (وما منع النّاس أن يؤمنوا) على الجملة في الآية التي قبلها (ولقد صرّفنا في هذا القرآن)، << ومعناها متّصل تمام الاتّصال بمعنى الجملة التي قبلها بحيث لو عطفت عليها بفاء التفريع لكان ذلك مقتضى الظاهر، وتعتبر جملة (وكان الإنسان أكثر شيء جدلا) معترضة بينهما لولا أن في جعل هذه الجملة مستقلة بالعطف اهتماما بمضمونها في ذاته >>[3].

يرى صاحب التحرير والتنوير أنّ المعنى في جملة (وما منع الناس أن يؤمنوا) متّصل تماما بالآية التي قبلها (ولقد صرفنا في هذا القرآن) واعتبر أنّ جملة (وكان الإنسان أكثر شيء جدلا) جملة معترضة بينهما.

---

[1]– محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير و التنوير، 298/15.

[2]– المرجع نفسه، 299/15

[3]– المرجع نفسه، 15/ 349.

وتتضافر أدوات أخرى لتزيد النصّ اتّساقا والحدث القصصيّ ارتباطا، فالأداة " إلّا " الموضوعة للدلالة على الاستثناء ربطت بين التركيبين (وما منع الناس أن يؤمنوا، ويستغفروا ربّهم) وجملة (تأتيهم سنّة الأوّلين) أو (يأتيهم العذاب)، وكأنّ حلول عذاب الله بهم مسبّب للمبادرة إلى الإيمان والاستغفار، فحدث في هذا السّياق ربط بين الحدث ومسبّبه، ممّا زاد النصّ اتّساق والمعنى انسجاما.

هذا، ونجد أيضا الواو عملت العطف بين المفردات في مثال قوله عز وجل: ﴿ **قَالُواْ يَٰذَا ٱلۡقَرۡنَيۡنِ إِنَّ يَأۡجُوجَ وَمَأۡجُوجَ مُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَهَلۡ نَجۡعَلُ لَكَ خَرۡجًا عَلَىٰٓ أَن تَجۡعَلَ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَهُمۡ سَدّٗا** ﴿٩٤﴾ ﴾ يظهر العطف بين لفظتي يأجوج ومأجوج بواسطة حرف الواو، فأفاد الرّبط بها بين مفردين للدّلالة على تشاركهما في الفعل، وهو الإفساد في الأرض...

يتّضح من خلال النّماذج السابق ذكرها – على سبيل الذّكر لا الحصر– أنّ الواو حقّق الاتّساق النصيّ من خلال عطف الآيات والمفردات بعضها على بعض، كما أسهمت في الرّبط بين أجزاء الحدث القصصيّ، ممّا جعله ينساب منسجما لتحقيق مقاصد هذه القصّة القرآنيّة.

– الرّبط بـــ (الفاء) العاطفة:

ومن حروف العطف أيضا نجد حرف " الفاء": وهو للعطف مع الترتيب دون تراخ، ولا مهلة وهو المعبّر عنه بالتعقيب، نحو قوله تعالى: ﴿ **ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقۡبَرَهُۥ** ﴿٢١﴾ ﴾ [عبس: 21].

يفيد حرف الفاء– حسب محمود النّابي– الترتيب دون تراخ وعدم وجود فترة زمنية بين الأحداث، فهي تحقق الاتّساق النّصّيّ من خلال جمع الأحداث وتتابعها وقوانينها، أمّا في المعجم الوافي، فالفاء << حرف عطف تشرك المعطوف مع المعطوف عليه لفظا وحكما وتفيد الترتيب والتعقيب سواء كان الترتيب معنويّا نحو: جاء خالد فسعيد، أم ذكريّا

عطف المتّصل على الجمل نحو ﴿ وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبۡنِي مِنۡ أَهۡلِي ﴾ [هود الآية 45].

والتعقيب معناه << وجود مهلة مناسبة بين المعطوف والمعطوف عليه قد تقصر أو تطول، إذ الزّمن متروك لكل شيء بحسبه >>[1]. فالفاء هنا تفيد الترتيب والتعقيب أي وجود مهلة فاصلة بين المعطوف والمعطوف عليه حسب ما يقتضيه الحدث.

ورد حرف الفاء عاطفا في سورة الكهف تسعا وستّين مرّة، وفيما يأتي نذكر بعض مواضعها في هذه السورة. قال الله جل جلاله: ﴿ وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعۡرَضَ عَنۡهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتۡ يَدَاهُۚ إِنَّا جَعَلۡنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ أَكِنَّةً أَن يَفۡقَهُوهُ وَفِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَقۡرٗاۖ وَإِن تَدۡعُهُمۡ إِلَى ٱلۡهُدَىٰ فَلَن يَهۡتَدُوٓاْ إِذًا أَبَدٗا ﴿٥٧﴾ ﴾.

العطف في هذه الآية بين الجملتين (من ذكّر بآيات ربه) و (أعرض عنها) و حرف العطف هو الفاء، والمعنى هنا << عطف على إعراضهم عن الذكر على التذكير بفاء التعقيب إشارة إلى أنّهم سارعوا بالأعراض ولم يتركوا لأنفسهم مهلة النّظر والتأمّل >>[2]. فإعراضهم عن ذكر الله معطوف على التذكير بآيات الله بفاء التعقيب، أي أنّهم عندما ذكروا بآيات الله سارعوا إلى الإعراض عنها دون أن يتمهلوا. فالفاء هنا ساهمت في اتّساق النصّ، وذلك بالرّبط بين الجملتين (...ذكّر بآيات ربّه) و(أعرض عنها)، فجمعت في انسجام بين حدث التذكير بآيات الله وردّ الكافرين المعرضين عن أمر الله.

ومن مواضع العطف بالفاء مع مخالفة الترتيب قوله: ﴿ أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتۡ لِمَسَٰكِينَ يَعۡمَلُونَ فِي ٱلۡبَحۡرِ فَأَرَدتُّ أَنۡ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٞ يَأۡخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصۡبٗا ﴿٧٩﴾ ﴾.

---

[1]– يوسف جميل الزعبي وعلي توفيق: المعجم الوافي في أدوات النحو العربي، دار الأمل، اربد، الأردن، ط2، 1993م، ص 216.

[2]– محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير، التنوير، 15/ 354.

الفاء الأولى الدّاخلة على (كانت..) واقعة في جواب (أمّا) التي هي حرف شرط وتفصيل مُؤوّل بـــ (مهما يكن من شيء)[1]، فربطت – إذن – بين فعل الشّرط الذي قامت (أمّا) مقامه وفعل الجواب (فكانت لمساكين) فساهمت بذلك في اتّساق النصّ وانسجام المعنى بالجمع بين ركني التركيب الشّرطيّ. والفاء الثانية المقترنة بالتركيب الفعليّ (أردت أن أعيبها) فأفادت العطف في هذه الآية بين الجملتين (فأردت أن أعيبها) و (وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة). جاء في أسرار حروف العطف في الذكر الحكيم. <<ولو روعي أصل الترتيب، لقيل: وكان وراءهم ملك يأخذ كلّ سفينة غصبا، فأردت أن أعيبها، لكن النظم الحكيم عمد إلى تقديم إرادة العيب بحيث تقع مرتبة على كون السفينة لمساكين (...)، فلو أخّر المعطوف على الأصل من الترتيب لأوهم في بادئ الأمر أنّ التعييب مسبّب عن صنيع الملك>>[2].

فالمعنى في هذه الآية أنّ الفاء عطفت الجملتين دون مراعاة أصل الترتيب، ذلك أنّ القرآن الحكيم أورد العيب قبل كون السفينة لمساكين، لتقديم مرتبته فلو أخّر المعطوف على المعطوف عليه لتوهّم القارئ أنّ التعييب مسبّب عن صنع الملك، وبهذا ساهم حرف الفاء في تحقيق الاتّساق بين الجمل والعبارات، وذلك من خلال وظيفته العطف مع الترتيب والتعقيب.

- الرّبط بـــ (ثُمَّ) العاطفة:

حرف العطف (ثمّ) أحد حروف العطف << وهي للترتيب مع التراخي، ومعنى الترتيب: أنّ الثاني بعد الأوّل، ومعنى التراخي: أنّ بين الأوّل والثاني مهلة >>[3].

---

[1]– ينظر: الجنى الدّاني، ص 22، ومغني اللبيب 1/ 56.

[2]– محمد الأمين الخضري، من أسرار الحروف العطف في الذكر الحكيم، مكتبة وهبة، ط1، القاهرة، مصر، ص 32.

[3]– محمد محي الدين عبد الحميد، التحفة السنية بشرح المقدمة الأجرومية، وزارة الأوقاف و الشؤون الاسلامية، قطر، (د.ط)، 2007 م، ص 126.

فهو حرف عطف يربط بين أجزاء النصّ و يحكم سبكه، و شرطه وجود مهلة زمنية بين المعطوف والمعطوف عليه، مثال: (حضر زيد ثم محمد) فإنّ حضور زيد ومحمّد ليس متزامنين، بل بينهما مدّة زمنية فاصلة، إذ أنّ حضور محمّد متأخر عن حضور زيد.

وقد تكرّر الحرف " ثمّ " في سورة الكهف زُهاءَ ستّ مرّات، منها قوله تعالى: ﴿ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ﴿٣٧﴾ ﴾.

ورد الحرف (ثمّ) مرتين في هذه الآية، حيث عطف في المرّة الأولى جملة (أكفرت بالذي خلقك من تراب) على جملة (ثم من نطفة)، وعطف في المرة الثانية جملة (ثم من نطفة) على جملة (ثم سوّاك رجلا).

جاء في التحرير والتنوير لابن عاشور قوله: << (من تراب) إشارة إلى الأجزاء التي تتكوّن منها النطفة، وهي أجزاء الأغذية المستخلصة من تراب الأرض، " وسواك " عدل خلقك أي جعله متناسبا في الشكل >>[1].

يشير هنا إلى تكوّن الانسان منذ كان ترابا أي من الأجزاء المكوّنة للنطفة، وهي أجزاء مستخلصة من التراب. وأفادت " ثمّ " هنا المدّة الزمنية لتكوين النطفة، وأفادت في الجملة الثانية (ثم سوّاك رجلا) الفترة الممتدّة من كون الانسان نطفة حتى يصبح رجلا حسن القوام. ويفصّل الله ذلك في قوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ۚ وَنُقِرُّ فِى ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا ۚ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٥﴾ ﴾[الحج: 05].

[1] – ابن عاشور، التحرير والتنوير، 15/ 322 .

فالحرف " ثمّ " في هذا السّياق ساهم في اتّساق النصّ وانسجامه، وذلك بالرّبط بين تراكيب ثلاثة (أكفرت...) و(ثمّ من نطفة) و(ثمّ سوّاك رجلا) مفيدة الدّلالة على ترتيب الحدث وتراخيه، ممّا ساعد على وضوح المعنى المتمثّل في مراحل تكوين الإنسان.

- الرّبط بـــ (أو) العاطفة:

ومن حروف العطف المساعدة على اتّساق النصّ، حرف العطف (أو)، وهو أحد حروف المعاني و<< تكون حرف عطف فتعطف مفردا على مفرد، وجملة على جملة، ويكون لها في هذا الموضوع خمسة معان>>[1]، حيث تعطف بين المفردات نحو قوله: جاءني زيد أو عمرو، وتربط بين الجمل نحو قولنا: كُل التمر أو اشرب اللبن. ومذهب الجمهور << أنّها تشرك في الإعراب، لا في المعنى، لأنّك إذا قلت: قام زيد أو عمرو، فالفعل واقع من إحداهما، وقال ابن مالك: إنّما تشرك في الإعراب والمعنى، لأنّ ما بعدها مشارك لما قبلها في المعنى الذي جيء بها لأجله، ألا ترى أنّ كل واحد منهما مشكوك في قيامه >>[2].

وخالف ابن مالك رأي جمهور النّحاة القائل بأنّ (أو) تشرك في الإعراب فقط، وقال بأنّها تشرك ما قبلها في الإعراب والمعنى؛ لأنّ ما بعدها مشارك لما قبلها في المعنى الذي جيء بها لأجله.

تكرّر حرف العطف " أو " في سورة الكهف ستّ مرّات. ومن الآيات التي ورد فيها قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِىَ حُقُبًا ﴿٦٠﴾ ﴾. عطفت (أو) بين الجملتين (أبلغ مجمع البحرين) و (أمضي حقبا).

---

[1]- أحمد بن عيد النور المقالي: رصف المباني في شرح حروف المعاني، تح: أحمد محمد الخراط، مطبوعات مجمع اللّغة العربيّة، دمشق، سوريا، (د ط)، (د ت)، ص 131.

[2]- المرادي: الجني الداني في حروف المعاني، ص: 227 -228.

عطفت " أو" << أمضي " على " أبلغ " فصار المعطوف إحدى غايتين للإقلاع عن السّير، أي: إمّا أن أبلغ المكان أو أمضي حقبا زمنا طويلا >>[1]. وبهذا ساعدت على اتّساق النصّ بالرّبط بين تراكيبه ممّا ساهم في انسجامه مبنى ومعنى.

وتؤدّي " أو " وظيفة الربط بين عناصر التركيب في قوله تعالى: ﴿ فَعَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يُؤۡتِيَنِ خَيۡرٗا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرۡسِلَ عَلَيۡهَا حُسۡبَانٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَتُصۡبِحَ صَعِيدٗا زَلَقًا ۝٤٠ أَوۡ يُصۡبِحَ مَآؤُهَا غَوۡرٗا فَلَن تَسۡتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبٗا ۝٤١ ﴾. وهي – هنا – عطفت بين أواخر الآية الأربعين (أو يصبح ماؤها غورا) وبداية الآية الواحد والأربعين (أو يصبح ماؤها غورا) .

جاء في كتاب " الدرّ المصون في علوم الكتاب المكنون " أنّ قوله تعالى: << أو يصبح" عطف على يرسل. قال الشيخ و" أو يصبح " عطفه على قوله: " ويرسل " لأنّ غور الماء لا يتسبّب عن الآفة السماوية، إلّا عني بالحسبان القضاء الإلهي فحينئذ يتسبّب عنه إصباح الجنة صعيدا زلقا، أو يصبح ماؤها غورا >>[2].

وقد عملت (أو) العطف في هذه الآيات بحيث ساهمت بشكل كبير في تحقيق اتّساق النّص وتلاحمه، بالرّبط بين التركيبين الفعليين (تصبح صعيدا...) و(يصبح ماؤها غورا) بالإشراك بين ركني العطف (المعطوف والمعطوف عليه) في الإعراب والمعنى معا...

[1] – محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير و التنوير، 365/15 .

[2]– أحمد يوسف: الدرر المصون في علوم الكتاب المكنون، 7/ 496 .

- الرّبط بـــ (أم) العاطفة:

ومن حروف العطف أيضا نجد الحرف (أم) التي تأتي على ضربين: متصلة ومنفصلة.

<< فالمتصلة تنحصر في نوعين :

الأوّل: أن تتقدّم عليها همزة يطلب لها وبـــ (أم) التعيين: نحو: (أخاك عندك أم محمد؟) أي: أيهما عندك؟ والمتكلّم يعلم أنّ واحدا منهما عنده لا يعينه ويطلب بسؤاله التعيين (....).

الثّاني: أن تتقدّم عليها همزة التسوية، وهي الواقعة بعد (سواء) و (ما أبالي) وما في معناهما، نحو قوله تعالى: ﴿سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ﴾ [البقرة-06][1].

فتقع (أم) متّصلة إذا طلب بها التعيين أي تحديد أحد الأمرين أو إذا وقعت بعد همزة التسوية، وهي الواقعة بعد سواء. أمّا (أم) المنقطعة << وتقع بين جملتين مستقلتين وتفيد الاضراب عن الكلام الأوّل، ومعناها في الغالب (بل)>>[2].

وجاءت " أم " في سورة الكهف بهذا المعنى في قوله تعالى: ﴿ أَمۡ حَسِبۡتَ أَنَّ أَصۡحَٰبَ ٱلۡكَهۡفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُواْ مِنۡ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ۝ ﴾ حيث أتت (أم) في بداية الآية التاسعة، وعطفت الجملة (أم حسبت أنّ أصحاب الكهف) على جملة (وإنا لجاعلون ما عليها صعيدا جرزا)، و<< (أم) هذه منقطعة، فتقدّر بـــ (بل) التي هي للانتقال لا للإبطال>>[3]. وساهمت (أم) في تحقيق اتّساق النصّ القرآني بنوعيها المتّصلة والمنفصلة.

- الرّبط بـــ (حتّى) العاطفة:

ومن الحروف التي ساهمت أيضا في تماسك النصّ القرآنيّ، حرف العطف (حتّى) التي يكون العطف بها قليلا << فتجري مجرى (الواو) في العطف لأنها تدلّ على التعظيم والتحقير، تقول في التعظيم (مات النّاس حتى الأنبياء) وتقول في التحقير (وصل الحاج

[1]- فاضل صالح السامرائي، معاني النحو، دار الفكر للطباعة والنشر، عمان، الأردن، ط01، 2000م، 3/ 246.

[2] -المرجع نفسه، 3/ 247.

[3] -محمد بن صالح العثيمين، تفسير القرآن سورة الكهف، ص 21.

المشاة والصبيان والنساء) وعلى هذا تقول: (أكلت السمكة حتى رأسها) أي: ورأسها >>[1]. فالعطف بـــ (حتّى) قليل جدّا، وإن عطف بها فإنّها تجري مجرى (الواو) في العطف، فتفيد التحقير والتعظيم.

وقد وردت (حتّى) في سورة الكهف تسع مرّات، نذكر منها قوله عزّ وجلّ:

﴿ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِي ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَاۖ قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا إِمْرًا ﴿٧١﴾ ﴾

جاء في تفسير التحرير والتنوير أنّ (حتّى) << غاية للانطلاق أي إلى أن ركبا في السّفينة. و (حتّى) ابتدائية، وفي الكلام إيجاز دلّ عليه قوله " إذا ركبا السّفينة " أصل الكلام: حتّى استأجرا سفينة فركباها فلما ركبا في السفينة خرقها >>[2]. وجاءت (حتى) في هذه الآية غاية للانطلاق، فعطفت الانطلاق على الركوب في السفينة، وساهمت بهذا في تحقيق الاتّساق النصيّ بالرّبط بين تراكيبه وبين الحدث القصصيّ (الانطلاق، وصولا إلى (الرّكوب).

- الرّبط بـــ (بل) العاطفة:

هي إحدى أدوات العطف التي يكون العطف بها قليلا جدا، وتأتي << للإضراب عن المذكور قبلها وجعلها في حكم المسكوت عنه نحو: ما ذهب خالد بل يوسف، وجهه بدر بل شمس>>[3]. فهي تبطل معنى ما قبلها وتجعله في حكم المسكوت عنه. وقد وردت في سورة الكهف ثلاث مرّات، منها قوله تعالى: ﴿ وَعُرِضُواْ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍۚ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا ﴿٤٨﴾ ﴾.

---

[1]- عمر الدمشقي الحنبلي: اللباب في علوم الكتاب، 12/ 431.

[2]- علي الرماني: معاني الحروف، تح: عرفان بن سليم العشا حسونة، المكتبة العصرية صيدا، لبنان(دط)، (د ت)، ص 168.

[3]- محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير و التنوير، 15/ 374.

عطفت (بلْ) الجملتين على بعضهما (لقد جئتمونا كما خلقناكم) و(بل زعمتم أن لن نجعل لكم موعدا) حيث أفادت الانتقال بالمعنى من الجملة الأولى إلى الثانية << والاضراب في قوله تعالى: ﴿ بَلۡ زَعَمۡتُمۡ أَلَّن نَّجۡعَلَ لَكُم مَّوۡعِدٗا ﴾، انتقال من التهديد وما معه من التعريض بالتغليط إلى التصريح في قالب الانكار فالخبر مستعمل في التغليط مجازا وليس مستعملا في إفادة مدلوله الأصلي >>[1].

من خلال النّماذج السّابقة لبعض الآيات التي ورد فيها العطف بالحروف، نخلص إلى أنّ حروف العطف قد ساهمت – في سورة الكهف – بشكل كبير في تحقيق التّرابط والتلاحم بين أجزاء النصّ القرآنيّ.

2- الرّبط بلام التعليل :

(اللّام) التي تفيد التعليل هي التي يصلح في موضعها (من أجل) مُبيّنة علّة إيقاع الفعل[2] كما في قوله تعالى: ﴿قَالُوٓاْ أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ لِيُحَآجُّوكُم بِهِۦ عِندَ رَبِّكُمۡۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ٧٦ ﴾ [البقرة: 76]، اللام في (ليحاجوكم) لام التعليل... جعل فرع وقوع التحديث المنكر كأنه علّة مسؤول عنها أي لكان فعلكم هذا معللا بأن يحاجوكم[3]. والتعليل بـــ (اللام) يفيد بأن يكون ما بعدها علّة وسببا في ما قبلها. و(اللام) تفيد سبب حدوث الفعل، والعلّة المقترنة بها قد تكون حاصلة قبل الفعل، وقد تكون مرادا تحصيلها...و يقول ابن يعيش << إنّ ما قبلها من الفعل علّة لوجود الفعل بعدها>>[4].

---

[1]– سعيد الأفغاني: الموجز في قواعد اللّغة العربيّة، دار الفكر، (د ط)، (د ت)، ص 342.

[2]– ينظر: أحمد بن عبد النور المالقي: رصف المباني في شرح حروف المعاني، تح: أحمد محمد الخراط، مطبوعات مجمع اللغة بدمشق، سوريا، (د.ط)، (د ت)، ص 223. .

[3]– محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، 1/ 570.

[4] – ابن يعيش: شرح المفصل، 7/ 20 – 21.

وتفيد اللام التعليل ذكر السّبب، وقد تفيد مع التعليل معاني أخر مثل التعجب والظرفية بمعنى (في) ولانتهاء الغاية بمعنى (إلى) وبمعنى (على) وبمعنى (عن) وغير ذلك من المعاني[1].

ولام التعليل تدخل على الفعل المضارع وغيره لبيان العلّة، فحرف التعليل (اللام) وهو الأصل في هذا الباب يفيد التعليل سواء اقترن بـــ (كي) أم لم يقترن. أمّا (كي) فلا تكون حرف تعليل إلا إذا لم يقترن باللام.

إنّ لام التعليل عند دخولها على الفعل المضارع تكون ناصبة له بتقدير (أن) بعدها يجوز إظهارها وإضمارها إلّا في (لام الجحود) .

وبالإضافة إلى دلالتها على التعليل ومعاني أخرى، تؤدّي لام التعليل وظيفة الرّبط بين عنصرين من عناصر التركيب، إذ تربط ما بعدها بما قبلها حيث إنّ ما قبلها يعدّ سببا لما قبلها، وتساعد هذه الوظيفة على اتّساق النصّ تركيبيّا وانسجامه دلاليّا.

وفي سورة الكهف حضور لافت للام التعليل، حيث نلمسها في عديد الآيات القرآنية، وفق نمطيين تركيبيين :

النّمط الأوّل: جملة فعليّة ماضويّة + لام التعليل + جملة فعليّة مضارعيّة.

من ذلك قوله تعالى: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبۡدِهِ ٱلۡكِتَٰبَ وَلَمۡ يَجۡعَل لَّهُۥ عِوَجَاۜ ۝١ قَيِّمٗا لِّيُنذِرَ بَأۡسٗا شَدِيدٗا مِّن لَّدُنۡهُ وَيُبَشِّرَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ أَجۡرًا حَسَنٗا ۝٢﴾.

تألّف هذا التركيب من جملتين وردت إحداهما (ليُنذر بأسا شديدا...) سببا لما قبلها (أنزل على عبده الكتاب...)؛ فالله جلّ شأنه أنزل الكتاب على عبده لينذر المشركين المنكرين وتهديدهم ببأس شديد، ويراد بالبأس الشّديد ما بشمل بأس عذاب الآخرة وبأس عذاب الدّنيا، وبشارة للمؤمنين الذين يعملون الصّالحات بثواب الأخرة وهو الأجر

[1]– ينظر: علي بن محمد الهروي، الأزهية في علم الحروف، تح: عبد المعين الملوحي، مطبوعات المجمع اللغوي بدمشق، سوريا، ط 2، 1993م، ص 298 – 300.

الحسن[1]. فكانت الجملة الثانية معلّلة وسببا للأولى، ووردت لام التعليل بين الجملتين لوظيفتين: الأولى تركيبيّة حيث أدّت دورا رابطيّا بين الجملتين، والثانية دلاليّة إذ أفادت اللّام الرّابطة أنّ الجملة بعدها سبب لما قبلها ولا تؤدي وظيفة غير هذه، وبهذا أسهمت اللّام الرّابطة في اتّساق النصّ بنيويّا وانسجامه دلاليّا.

ومن هذا النّمط أيضا قوله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾.

البنية التركيبيّة في هذه الآية شبيهة بالبنية التركيبيّة في الآية السّابقة، إذ تألّفت من جملتين كانت إحداهما سببا للأولى، واقترنت الجملتان باللّام الرّابطة وهي لام التعليل التي تفيد – بالإضافة إلى دورها الرابطيّ – بيان أنّ الجملة بعدها مسبّبة عن الجملة قبلها، حيث يفيد النصّ القرآنيّ أنّ الله سبحانه وتعالى ملأ الأرض زينة، والمقصود ما تحبّه النّفوس من الزينة والزخرف، لغاية سامية وهي اختبار الإنسان، هل يؤمن فيعمل صالحا أم يكفر بنعم الله فيأتي العمل السيّء؟ وهكذا نلاحظ أنّ اللام أدّت وظيفتين: الدّلالة على التعليل لبيان أنّ ما بعدها علّة ما قبلها، والرّبط بين عناصر البنية الجمليّة، ممّا ساعد على اتّساق النصّ تركيبيّا وانسجامه دلاليّا؛ إذ لولا وجود لام التعليل لما فُهِمَ أنّ ما بعدها جملة تعليليّة..

ومن هذا النّمط أيضا قوله تعالى: ﴿فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِى ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴿١١﴾ ثُمَّ بَعَثْنَٰهُمْ لِنَعْلَمَ أَىُّ ٱلْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓا۟ أَمَدًا ﴿١٢﴾ ﴾.

فاستجابة لدعاء الفتية، جعل الله إنامتهم كرامة لهم بأنّ سلّمهم من التعذيب بأيدي أعدائهم، وأيّد ذلك أنّهم على حق، وأرى النّاس ذلك بعد زمن طويل، ثمّ أيقظهم من نومتهم

[1]– ينظر: تفسير التحرير والتنوير، 15/ 249. .250

يقظة مفزوع، وجُعل حصول علم الله بحال الحزبين علّة لبعثه إيّاهم، كناية عن حصول الاختلاف في تقدير مدّتهم[1].

فهذه الجملة المركّبة تألّفت من جملتين، وردت الثانية منهما علّة وسببا للجملة الأولى، فالعلم بمدّة لبوث الفتية نياما في كهفهم هيّ علّة بعثهم، وقد ربط بين الجملتين بلام العاقبة والمآل، وقيل لام التعليل[2] التي ربطت بين البنيتين التركيبيتين، وأفادت أنّ الجملة الثانية مسبّبة للجملة الأولى ممّا زاد النصّ ترابطا واتّساقا، والمعنى انسجاما بتحديد – عن طريق لام التعليل – العلاقة الدّلاليّة بين الجملتين.

ومن أمثلة هذا النّمط التركيبيّ أيضا، قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَٰهُمْ لِيَتَسَآءَلُواْ بَيْنَهُمْۚ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْۖ قَالُواْ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍۚ قَالُواْ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَٱبْعَثُوٓاْ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَآ أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ﴿١٩﴾﴾.

فالبنية التركيبيّة (وكذلك بعثناهم ليتساءلوا) مؤلّفة من جملتين متلازمتين: جملة (بعثناهم) وهي جملة فعليّة ماضويّة) وجملة (ليتساءلوا) وهي جملة فعليّة مضارعيّة، وقد اقترنت الجملتان بلام العاقبة والمآل على رأي البعض، ولام التعليل الحقيقيّ على رأي فئة أخرى[3]، فأفادت اللّام أنّ الجملة بعدها مسبّبة عن الجملة قبلها، إذ يفيد السياق القرآنيّ أنّ الحكمة من بعث الفتية – بعد إنامتهم عددا من السّنين – هي أن يعرفوا حالهم وما صنع الله بهم فيعتبروا[4].

---

[1]– ينظر: محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، 268/15.

[2]– ينظر: الألوسي: روح المعاني، ضبطه وصححه: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1، 1994م، 8/ 221،

[3]– ينظر: الألوسي، روح المعاني، 8/ 229.

[4]– ينظر: أبو جعفر النحاس: إعراب القرآن، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط 2، 2008، ص 539 – 540، وجار الله الزمخشري: الكشاف، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط 3، 2009، 576/2.

فبالإضافة إلى دلالة لام العاقبة أو لام التعليل الإبانة على أنّ الجملة بعدها علّة للجملة قبلها، أدّت وظيفة العنصر الرّابط بين الجملتين.

ومن قبيل هذه البنية التركيبيّة أيضا قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَعۡثَرۡنَا عَلَيۡهِمۡ لِيَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيۡبَ فِيهَآ إِذۡ يَتَنَٰزَعُونَ بَيۡنَهُمۡ أَمۡرَهُمۡۖ فَقَالُواْ ٱبۡنُواْ عَلَيۡهِم بُنۡيَٰنٗاۖ رَّبُّهُمۡ أَعۡلَمُ بِهِمۡۚ قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُواْ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِمۡ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيۡهِم مَّسۡجِدٗا ٢١﴾.

اللّام في (ليعلموا) بيّنت سبب الإعثار عليهم أي ليعلم الذين أعثرهم الله أنّ وعد الله بالبعث حقّ. فاللام في الآية هو لأجل بيان السّبب من البعث والإعثار[1].

ولهذه اللّام دور رابطيّ؛ إذ ربطت بين جملتين: جملة (أعثرنا عليهم) وهي جملة فعليّة ماضويّة، وجملة (يعلموا أنّ وعد..) والأولى علّة وسبب للأولى، وبذلك أسهمت اللّام في اتّساق النصّ تركيبيّا وانسجامه دلاليّا؛ إذ لولا (اللّام) لما تبيّن أنّ الجملة بعدها علّة وسبب للأولى، ولتوُهّم أنّ الثانية جملة منفصلة عن الأولى.

النّمط الثّاني: جملة فعليّة مضارعيّة + لام التعليل + جملة فعليّة مضارعيّة.

وقد ورد هذا النّمط مرّة واحدة في قوله تعالى: ﴿وَمَا نُرۡسِلُ ٱلۡمُرۡسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَۚ وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلۡبَٰطِلِ لِيُدۡحِضُواْ بِهِ ٱلۡحَقَّۖ وَٱتَّخَذُوٓاْ ءَايَٰتِي وَمَآ أُنذِرُواْ هُزُوٗا ٥٦﴾.

تألّفت هذه البنية التركيبيّة – خلافا للأنماط السّابقة – من جملتين فعليتين مضارعيتين مثّلت إحداهما علّة الثانية، فجملة (ما نرسل المرسلين) وهي جملة فعليّة مضارعيّة منفيّة بـــ (ما) تمثّل علّة الجملة المضارعيّة المثبتة (يدحظوا به الحقّ..). وقد اقترنت الجملتان باللّام الرّابطة التي أسهمت في اتّساق النصّ بالرّبط بين عناصر التركيبين الجمليين، كما أسهمت في انسجام النصّ القرآني بإبانتها أنّ الجملة بعدها مسبّبة عن الجملة قبلها وليست جملة منفصلة عنها.

[1] – محمد الشوكاني: فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، 3/ 275 – 277 .

وهكذا، نلاحظ أنّ لام التعليل أو لام العاقبة والمآل بمصطلح آخرين أدّت في هذه النّصوص القرآنيّة وظيفتين: وظيفة تركيبيّة إذ ساهمت في وصل عناصر التركيب بعضها ببعض ممّا أسهم في اتّساق النصّ، ووظيفة دلاليّة إذ أبانت اللّام عن طبيعة الجملة بعدها باعتبارها جملا متّصلة دلاليّا بما قبلها.

قرينة الإحالة وأثرها في اتّساق النصّ في سورة الكهف:

تعدّ الإحالة واحدة من أهمّ الأدوات التي تحقّق التّماسك النصيّ، وهي معيار من المعايير التي تسهم في خلق الكفاية النصيّة؛ إذ تقوم بعمليّة سبك العبارات لفظيّا دون إهمال للترابط الدّلاليّ الكامن وراءها، فهي قادرة على صنع قنوات وجسور تربط وحدات النصّ المتباعدة المتمثلة في الكلمات والجمل والعبارات، ولا يجب أن يصرفنا اهتمامنا بالجانب النحويّ عن الترابط الدّلاليّ الذي يعدّ الغاية الأساسيّة.[1]

والإحالة: << علاقة معنوية بين ألفاظ معينة، وما تشير إليه من أشياء أو معانٍ أو مواقف تدل عليها عبارات أخرى في السياق، أو يدل عليها المقام، وتلك الألفاظ المحيلة تعطي معناها عن طريق قصد المتكلم، مثل :الضّمير، واسم الإشارة، واسم الموصول ...إلخ. حيث تشير هذه الألفاظ إلى أشياء سابقة أو لاحقة، قُصدت عن طريق ألفاظ أخرى أو عبارات أو مواقف لغوية أو غير لغوية. والمتكلم أو الكاتب هو الذي يحمّل التعبير دلالة تكشف عن وظيفة إحاليّة >>[2].

اختصّ القرآن الكريم بجملة من الخصائص واحتوى على العديد من المضامين والمعاني الفريدة، وقد صاغها لنا –القرآن الكريم– بعدة أساليب شيقة، من هذه الأساليب: القصص القرآني.

---

[1]– ينظر: الإحالة بالضمائر ودورها في تحقيق الترابط النصي القرآني، دراسة وصفية تحليلية، نائل محمد إسماعيل، مجلة جامعة الأزهر، بغزة، مج 1، ع 1، 2011م، ص 1061.

[2]– أحمد عفيفي: الإحالة في نحو النصّ، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، (د ط)، (د ت)، ص 13.

لا ريب أن القصة من أنجع أساليب التربية والتعليم نظرا لتأثيرها على المتلقي، وقد عرض القرآني الكريم كثيرا من قضايا الإيمان والعقيدة والصراع الأبدي بين الحق والباطل بهذا الأسلوب القصصي بغرض العضة والاعتبار.

وهذه القصص حتى تأتي في قالب واحد متلاحم ومتّحد، لا بدّ من توفر عناصر الاتّساق النصّيّ، ومن أبرز هذه العناصر: الإحالة، وهي كما أشرنا سابقا العلاقة القائمة بين العنصر الإحاليّ والمرجع الذي يحيل إليه. وهي نوعان: إحالة خارجيّة: وهي التي يكون مرجعها خارج النصّ ويفهم من السّياق وإحالة داخليّة: وتنقسم إلى قسمين: إحالة قبليّة، وهي التي يكون فيها المحال إليه مذكورا قبل العنصر الإحاليّ، وإحالة بعديّة يكون فيها المحال إليه مذكورا بعد العنصر الإحاليّ.

وفي سورة الكهف ساهمت الإحالة – باختلاف أضربها – في اتّساق النصّ القرآنيّ، ومن تجلّياتها في هذه السّورة:

1- الإحالة بالضّمير:

تعدّدت الضّمائر في هذه السّورة، أكثرها ضمير (الهاء) وهو عادة ما يرد متّصلا، نحو قوله تعالى في بداية سورة الكهف ﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبۡدِهِ ٱلۡكِتَٰبَ وَلَمۡ يَجۡعَل لَّهُۥ عِوَجَاۜ ١ ﴾.

استهلت السّورة بالحمد والثناء على الله عزّ وجلّ << الذي أزل القرآن هدية للبشريّة (...) ثم تنتقل إلى بيان حقيقة الحياة بميزان العقيدة الدقيق فكل ما على الأرض من زينة وبهرج إنما جعل الابتلاء والاختبار، ونهاية إلى فناء وزوال>>[1].

[1]– محمد علي الصابوني: إيجاز البيان في سور القرآن، مكتبة الغزالي، المدينة المنورة، ط 2، 1989م، ص 85 – 86.

حيث تنتهي مقدّمة هذه السّورة في الآية الثامنة وفيها تأكيد على أنّ كلّ ما على الأرض يزول ويفنى ولا يبقى منه شيء. وقد جاء ضمير (الهاء) في هذه الآية متّصلا باللفظ (عبده) << يعني محمّدا، إنّك رسول منّي، أي تحقيق لما سألوا عنه من نبوّتك>> [1].

فمحمّد صلّى الله عليه وسلّم رسول الله، وقد << وصفه تعالى بالعبودية، لأنه أعبد البشر لله عزّ وجلّ >>[2]، وهذا يعني أنّ (عبده) هو رسول الله صلّى الله عليه وسلّم. والضّمير المتّصل (الهاء) عائد على الله تعالى لأنّ محمدا عبد الله ورسوله، وقد ذكر لفظ الجلالة الله قبل ضمير الإحالة، فهي إحالة داخليّة قبليّة شكّلت رابطا بين المحال إليه وضمير الإحالة، وهذا من مظاهر الاتّساق النصّيّ في القرآن الكريم.

وأحال أيضا ضمير (الهاء) في نفس هذه الآية في (له) إلى لفظ (الكتاب) المذكور قبله حيث يرى صاحب التحرير والتنوير أنّ << **ضمير (له) عائد إلى الكتاب** >> [3] . وبما أنّ المحال إليه وهو (الكتاب) ذكر قبل عنصر الإحالة وهو ضمير (الهاء) فهي إحالة داخليّة قبليّة ربطت حرف الجرّ اللّام بما قبله وهو (الكتاب) ممّا أحدث نوعا من الاتّساق في هذه الآية.

ومثلما ساهمت الضّمائر المتّصلة في اتّساق النصّ القرآنيّ، لا ننكر دور الضّمائر المستترة الفعال في الرّبط بين التراكيب اللغويّة، حيث جاء في قوله تعالى: ﴿ قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ۝ ﴾.

فالضّمير المستتر في الفعل (ينذر) يعود على الله تعالى حيث إنّ الفعل: << لينذر متعلّق بأنزل والضّمير المرفوع عائد على اسم الله أي لينذر الله بأسا شديدا من لدنه >>[4].

---

[1]– محمد القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، تح: عبد الله التركي، مؤسّسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط 1، 2009، ص 303.

[2] – محمد بن صالح العثيمين: تفسير القرآن الكريم، سورة الكهف، دار ابن الجوزي، الرياض، السعودية، ط 1، 1423ه، ص 08.

[3]– محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير،15|248.

[4]– المرجع نفسه، 15/ 248.

يتبين أنّ الإحالة هنا على عنصر سابق وهو (الله) المذكور في الآية الأولى فهي إحالة داخليّة قبليّة، ويعدّ هذا النوع من الإحالة أحد أبرز وسائل الاتّساق في هذه السّورة.

كما ورد أيضا الضّمير المستتر في (كبرت) في قوله تعالى: ﴿ مَّا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِأَبَآئِهِمْ ۚ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ ۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ۝ ﴾.

يرى ابن عاشور أنّ << الضّمير في قوله (كبرت) يرجع إلى الكلمة التي دل عليها التمييز. وأطلقت الكلمة على الكلام وهو إطلاق شائع>>[1]، وعليه فإنّ المحال إليه في هذه الآية هو الكلمة، والكلمة هي كلام المشركين وادّعاؤهم الكاذب بأنّ لله ولدا، << وقوله (كبرت) أي كبرت الكلمة، والمراد من هذه الكلمة ما حكاه الله تعالى عنهم في قوله (قالوا اتخذ الله ولدا) فصارت مضمرة في كبرت وسميت كلمة كما يسمون القصيدة كلمة >>[2].

فهي بذلك إحالة داخليّة بعديّة ساهمت في ربط العنصر الإحاليّ بما بعده وفي هذا دلالة واضحة على الاتّساق الظاهر في النصّ.

جاء ضمير(الهاء) متّصلا بحرف الجرّ(الباء) في قوله تعالى في موضع آخر من السّورة: ﴿ مَّا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِأَبَآئِهِمْ ۚ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ ۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ۝ ﴾. حيث << ضمير (به) عائد على مصدر مأخوذ من الفعل (قالوا) أي مالهم بذلك القول من علم>>[3] .

فقد أحال الضّمير المتّصل (الهاء) على مصدر مأخوذ من الفعل قالوا يقصد الذين قالوا اتّخذ الله ولدا، << أي قولهم إنّ الملائكة بنات الله >>[4] . فما لهم بهذا القول من علم

---

[1]– محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، 15/ 252.

[2]– فخر الدين الرازي: التفسير الكبير ومفاتيح الغيب، تقديم: خليل محي الدين الميس، دار الفكر، بيروت، لبنان، د ط، 1995م، 21/ 79.

[3]– المرجع السابق، 15/ 248.

[4]– محمد القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، 9 / 303.

وما هو إلّا كذب وافتراء. والمحال إليه هنا هو القول (اتّخذ الله ولدا) في الآية التي قبلها << **وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا**>> وهذا ما حقّق الاتّساق بين آيات هذه السّورة.

تعدّ الضّمائر من المبهمات، وبما أنّها لا تحمل معنى في ذاتها فهي بحاجة دائما إلى مرجع يفسّرها خاصّة في القرآن الكريم، وقد وردت الضّمائر كثيرا في سورة الكهف، منها قوله تعالى:﴿ إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا۟ عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِى مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوٓا۟ إِذًا أَبَدًا ﴾.

اشتملت الآية على الضّمير(هم) في (إنهم) وقد ورد في مرجعيّة هذا الضّمير ثلاثة آراء من كبار المفسّرين، حيث يرى الزمخشري أنّ << الضّمير في (إنّهم) راجع إلى الأهل المقدّر في أيّها>>[1] . فالمحال إليه حسب الزمخشريّ هو الأهل، والمقدّر في (أيّها) في الآية التي قبلها (فابعثوا أحدكم بورقكم هذه إلى المدينة فلينظر أيّها أزكى طعاما)، وبما أنّ المحال إليه قد ذكر في الآية السّابقة فهي إحالة قبليّة داخليّة، وقد ربط العائد (هم) في الآيتين وحقّق بذلك الاتّساق النصيّ.

أمّا الرّأي الثاني فهو لصاحب البحر المحيط، حيث يرى أبو حيان الأندلسيّ أنّ << الضّمير في (إنّهم) عائد على ما دلّ عليه المعنى من كفار تلك المدينة >>[2]. فالضّمير(هم) يعود على كفّار المدينة وهو ما يفهم من معنى هذه الآية، وقد ذكر المحال إليه مضمرا في (يظهروا)، فهي إحالة داخليّة بعديّة.

بينما يرى صاحب الرأي الثّالث وهو محمّد الطاهر بن عاشور << أنّ ضمير(إنّهم) عائد إلى ما أفاده العموم في قوله تعالى (ولا يشعرنّ بكم أحدا) فصار أحدا في معنى جميع النّاس على حكم النّكرة في سياق شبه النّهي>>[3] .

---

[1]– الزمخشري: الكشّاف، 15/ 615.

[2]– أبو حيان الأندلسيّ: البحر المحيط، تح: عادل أحمد النجولي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1، 1993م، 6/ 107.

[3]– محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، 15/ 286.

فالمحال إليه حسب ابن عاشور هو ما أفاده العموم أي (أحدا) المذكور في الآية السّابقة، فهي إحالة داخليّة قبليّة، وهذا هو القول الرّاجح لأنّ كلمة (أحدا) قد شملت جميع النّاس وليس الكفّار فقط، وبذلك ساهم هذا الضّمير في التنسيق بين الآيتين وإحكام سبكهما.

جاء في قوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَعۡثَرۡنَا عَلَيۡهِمۡ لِيَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيۡبَ فِيهَآ إِذۡ يَتَنَٰزَعُونَ بَيۡنَهُمۡ أَمۡرَهُمۡۖ فَقَالُواْ ٱبۡنُواْ عَلَيۡهِم بُنۡيَٰنٗاۖ رَّبُّهُمۡ أَعۡلَمُ بِهِمۡۚ قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُواْ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِمۡ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيۡهِم مَّسۡجِدٗا ﴿٢١﴾ ﴾.

فالضّمير المستتر في (ليعلموا)، يقول "ابن عطية الأندلسي" << والضّمير في قوله (ليعلموا) يحتمل أن يعود على الأمة المسلمة الذين بعث أهل الكهف على عهدهم>>[1]، وعليه فإنّ المحال إليه خارج النصّ (وهو الأمّة المسلمة) ويفهم من سياق الحديث، فهي إحالة خارجيّة.

أمّا عبد الرحمن بن ناصر السّعدي فيرى أنّ الله تعالى قد: << اطلع الناس على حال أهل الكهف (...) فأراد الله أمرا فيه صلاح للناس وزيادة أجر لهم، وهو أنّ النّاس رأوا منهم آية من آيات الله، المشاهدة بالعيان>>[2].

فالمحال إليه هنا هو(النّاس)، وهو خارج النصّ، فهي إحالة خارجيّة. والقول الرّاجح هو الأوّل –والله أعلم– لأنّ في عهد فتية الكهف كان أهل تلك المدينة في شكّ من يوم البعث، فجاء الله بمعجزة هؤلاء الفتية ليطلع الأمّة المسلمة على حقائق يوم القيامة والبعث بعد الموت، وبذلك فقد ساهمت الإحالة في إعمال ذهن المتلقّي ودفعه إلى البحث عن المحال إليه وربط الآيات والأحداث ببعضها، وهذا من أهمّ مظاهر الاتّساق النّصيّ.

---

[1]– ابن عطية الأندلسي: المحرر الوجيز، تح: عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1، 2001م، 9 / 506 – 507.

[2]– عبد الرحمان السعدي: تيسير الكريم الرحمن في تفسير المنان، تقديم: محمد الصالح العثيمين، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط 1، 2002م، ص 473.

ويرى صاحب التحرير والتنوير في موضوع آخر من هذه الآية – وهو قوله تعالى: << إذ يتنازعون بينهم أمرهم>> – أنّ << ضمير (أمرهم) يجوز أن يعود إلى أصحاب الكهف، والأمر هنا بمعنى الشّأن (...) ويجوز أن يكون ضمير(أمرهم) عائدا إلى ما عاد عليه ضمير (يتنازعون) أي شأنهم فيما يفعلونه بهم>>[1] .

حيث أورد ابن عاشور احتمالين حول مرجعيّة الضّمير (هم) في أمرهم، فيجوز أن يرجع إلى أصحاب الكهف، وهو معهود لفظيّ سبق ذكره في الآية التّاسعة (أم حسبت أنّ أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا) وبذلك فقد تمّ الرّبط بين عشر آيات متتاليّة، فهي إحالة داخليّة قلبيّة.

أمّا الاحتمال الثاني فيجوز أن يعود الضّمير(هم) إلى أهل المدينة المتنازعين حول ما يفعلوه في أمر أصحاب الكهف، فهي إحالة خارجيّة، ولهذا فقد بيّن الضّمير (هم) أحد أهم مظاهر الاتّساق وهو الرّبط بالإحالة.

يتواصل الرّبط بالضّمير (هم) بين آيات هذه السّورة حيث ورد في قوله تعالى: ﴿ ۞ وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلٗا رَّجُلَيۡنِ جَعَلۡنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيۡنِ مِنۡ أَعۡنَٰبٖ وَحَفَفۡنَٰهُمَا بِنَخۡلٖ وَجَعَلۡنَا بَيۡنَهُمَا زَرۡعٗا ﴿٣٢﴾.

الضّمير الوارد في هذه الآية هو(هم) في (لهم) حيث اتّصل بحرف الجرّ(اللّام). بقول أبو حيّان الأندلسيّ << والضّمير في لهم عائد على المتجبّرين الطّالبين من الرّسول صلّى الله عليه وسلّم طرد الضعفاء المؤمنين. فالرّجل الكافر بإزاء المتجبرين، والرّجل المؤمن بإزاء ضعفاء المؤمنين، وظهر بضرب هذا المثل الرّبط بين هذه الآية والتي قبلها إذا كان من أشرك إنّما افتخر بما له وأنصاره، وهذا قد يزول فيصير الغني فقيرا، وإنّما المفاخرة بطاعة الله والتقدير واضرب لهم مثلا قصّة الرجلين >>[2].

[1]– محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، 15/ 285.

[2]– أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، 6 / 118.

حيث يعود الضّمير (هم) على المتجبرين من أهل المدينة الذين طلبوا من رسول الله صلّى الله عليه وسلم إخراج ضعفاء المؤمنين، فجاءت قصّة الرجلين مثلا عن هذا الحدث، حيث الرّجل المؤمن يمثل ضعفاء المؤمنين والرّجل الكافر يمثل الكفّار المتجبّرين، لكنّ المحال إليه لم يذكر في هذه الآية، بل هو خارج النصّ/ فهي إحالة خارجيّة، أمّا ما يفهم من هذا المثل وهو قصّة الرجلين هو أنّ المفاخرة تكون بطاعة الله وحده وليس بالمال والولد.

ويؤيّد هذا القول ابن عطيّة في المحرّر الوجيز حيث يرى أنّ << الضّمير في (لهم) عائد على الطائفة المتجبّرة التي أرادت من النّبيّ عليه السّلام أن يطرد فقراء المؤمنين>>[1]. وبهذا يكون الضّمير(هم) قد ساهم وبشكل واضح في اتّساق آيات هذه السّورة.

أمّا ابن عاشور فيذكر وجهين حول مرجعية الضّمير في (لهم) يقول: << والضّمير في قوله (لهم) يعود إلى المشركين من أهل مكّة على الوجه الأول ولم يتقدّم لهم ذكر، ويعود إلى جماعة الكافرين والمؤمنين على الوجه الثاني>>[2]. فالضّمير في (لهم) على جماعة المؤمنين والكفّار وقد تقدّم ذكرهم، فهي إحالة داخليّة قبليّة.

وورد أيضا ضمير الشّأن في قوله تعالى: ﴿ لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٣٨﴾ ﴾.

جاء في التفسير الكبير للرّازي أنّ: << في قوله (هو الله ربّي) ضمير الشأن>>[3]. وقد أحال إلى الله تعالى الذي ذكر بعده فهي إحالة داخليّة بعديّة.

وتعتبر الإحالة بالضّمير من أبرز العلاقات الإشاريّة على مستوى النصّ والمتجاوزة لمستوى الجملة وهي من أهمّ مظاهر الاتّساق النّصيّ.

---

[1]–ابن عطية: المحرر الوجيز، 3 / 515.

[2]– محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، 316/15.

[3]– فخر الدين الرازي: التفسير الكبير، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط 1، 1981م، 21 / 127.

جاء في قوله تعالى: ﴿ ۞ مَّآ أَشۡهَدتُّهُمۡ خَلۡقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَا خَلۡقَ أَنفُسِهِمۡ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلۡمُضِلِّينَ عَضُدٗا ٥١ ﴾.

فالضّمير "هم" في (أشهدهم) حيث يعود على الكفّار وعلى النّاس بالجملة، وهذا حسب ما ورد في المحرّر الوجيز، إذ << الضّمير في أشهدتهم عائد على الكفّار وعلى النّاس بالجملة، فتتضمّن الآية الردّ على طوائف من المتجهّمين، وأهل الطّبائع والمتحكّمين من الأطباء وسواهم من كلّ من يخوض في هذه الأشياء>>[1].

ويرى ابن عطيّة أنّ المحال إليه هو الكفّار والنّاس جميعا، بينما يرى أبو حيّان الأندلسيّ أنّ << الظّاهر عود ضمير المفعول في (أشهدتهم) على إبليس وذريّته، أي لم أشاورهم في خلق السّماوات والأرض ولا خلق أنفسهم بل خلفتهم على ما أردت>>[2]. فالضّمير يعود على إبليس وذريّته، والمعنى أنّ الله لم يشهد إبليس ولا ذريته خلق السّماوات والأرض ولا حتّى خلق أنفسهم، وبالتّالي فإنّ المحال إليه قد ذكر في الآية السّابقة في قوله: << وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس كان من الجنّ ففسق عن أمر ربه أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني وهم لكم عدوّ بئس للظالمين بدلا>> فهي إحالة داخليّة قبليّة.

ويدعم هذا الرّأي ابن عاشور في التحرير والتنوير فيقول: << وضمائر الغيبة في قوله (أشهدتهم / وقوله أنفسهم) عائدة إلى المتحدث عنه، أي إبليس وذريته >>[3].

وبما أنّ الضّمير أحال إلى معهود لفظيّ ذكر في الآية التي قبلها فقد حدث بذلك الرّبط بين هاتين الآيتين وأحدث نوعا من التناغم والاتّساق بين الآيتين شكلا ومعنى.

---

[1]– ابن عطية: المحرر الوجيز، 3 /523.

[2]– أبو حيان الأندلسي: البحر المحيط، 6 / 130.

[3]– محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، 15/ 343.

ومن الضّمائر الأخرى التي ساهمت بشكل كبير في سبك النصّ القرآنيّ، نجد الضّمير المتّصل (هم) والذي ورد في قوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُواْ شُرَكَآءِيَ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُواْ لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقًا ﴿٥٢﴾ ﴾.

يرى ابن عاشور في التحرير والتنوير أنّ << اليوم الذي يقع فيه هذا القول هو يوم الحشر، والمعنى يقول للمشركين كما دل عليه قوله «الذين زعمتم» أي زعمتموهم شركائي (...) وأمره إياهم بمناداة شركائهم مستعمل في معناه مع إرادة لازمة وهو إظهار بطلهم بقرينة فعل الزّعم>>[1]، حيث يجمع الله تعالى النّاس جميعا ليوم الحشر وهو اليوم الموعود، يقول جلّ جلاله للمشركين أدعوا من زعمتم أنّهم شركاء لله الواحد لينصروكم ويشفعوا لكم اليوم فدعوهم فلم يجيبوهم وقوله تعالى: << وجعلنا بينهم موبقا >> << أي وجعلنا بين المشركين وآلهتهم المزعومة مكانا سحيقا، أي موضعا للهلاك وهو نار جهنّم أو واد في جهنّم وقال ابن عباس الموبق: الحاجز>>[2].

فالضّمير (هم) في (بينهم) أحال إلى المشركين وآلهتهم المزعومة وقد ذكر المحال إليه قبل الضّمير، فهي إحالة داخليّة قبليّة وهي نصيّة والتي تعتبر عنصرا مهما من عناصر الاتّساق النصيّ.

ومن الضمائر الأخرى الّتي ساهمت في هذه السّورة في اتّساق النصّ عن طريق قرينة الإحالة الضّمير المتّصل (هما) والوارد في قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِي ٱلْبَحْرِ سَرَبًا ﴿٦١﴾ ﴾.

---

[1]– محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، 15/ 345

[2]– وهبة الزحيلي: التفسير المنير، 2 / 299.

يقول الصابوني: << أي فلمّا بلغ موسى وفتاه مجمع البحرين نسي (يوشع) أن يخبر موسى بأمر الحوت وما شاهده منه من الأمر العجيب>>[1].

فالحوت ملك لسيّدنا موسى عليه السّلام والفتى، وقد ورد الضّمير (هما) متّصلا بالحوت، فعاد بذلك عليهما، فالمحال إليه هنا هو سيّدنا موسى والفتى (يوشع)، وقد ذكر قبل عنصر الإحالة فهي إحالة نصيّة داخليّة قبليّة، ساهمت في الرّبط بين الوحدات اللغويّة المكوّنة للنصّ.

وورد أيضا ضمير (الهاء) متصلا بلفظة (أصلها) في قوله تعالى: ﴿ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهۡلَ قَرۡيَةٍ ٱسۡتَطۡعَمَآ أَهۡلَهَا فَأَبَوۡاْ أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارٗا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُۥۖ قَالَ لَوۡ شِئۡتَ لَتَّخَذۡتَ عَلَيۡهِ أَجۡرٗا ٧٧ ﴾.

حيث يتواصل الحديث عن قصّة سيّدنا موسى والفتى في هذه الآية وتتوالى الأحداث حتّى: << وصلا إلى قرية قال ابن عبّاس: هي إنطاكية فطلبا طعاما وكان أهلها لئاما لا يطعمون جائعا ولا يستضيفون ضيفا، فامتنعوا عن إضافتهما أو إطعامها>>[2].

فأهل هذه القرية لا يستضيفون ضيفا ولا يطعمون عابر سبيل، من شدّة بخلهم ولؤمهم، ونستشف من قول الصابونيّ هذا أنّ ضمير (الهاء) في (أهلها) يعود على القرية، فالمحال إليه هنا هو القرية وقد سبق ذكره قبل العنصر الإحاليّ، فهي إحالة داخليّة قبليّة، حيث لعب ضمير(الهاء) في (أهلها) حيث دورا بارزا في تحقيق الاتّساق النّصيّ بين عبارات وألفاظ هذه الآية.

في بداية قصة ذي القرنين يقول تعالى: ﴿ وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَن ذِي ٱلۡقَرۡنَيۡنِۖ قُلۡ سَأَتۡلُواْ عَلَيۡكُم مِّنۡهُ ذِكۡرٗا ٨٣ ﴾. اختلف فيمن سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قصّة هذا الرّجل << فقيل سألته طائفة من أهل الكتاب، وروي في ذلك عقبة بن عامر حديث ذكره الطّبريّ،

[1]– وهبة الزحيلي: التفسير المنير، 2 / 206.

[2]– محمد الصابوني: صفوة التفاسير، 2 / 200.

وقيل إنّما سألته قريش، حين دلّتها اليهود على سؤاله عن الرّوح والرّجل الطوّاف وفتية ذهبوا في الدّهر ليقع امتحانه بذلك>>[1].

حين ذهب أهل قريش إلى أخبار اليهود ليتأكّدوا من نبوءة محمّد صلّى الله عليه وسلّم أخرهم اليهود أن يسألوا الرّسول صلّى الله عليه وسلّم عن ثلاثة أمور، وهي: قصّة أصحاب الكهف، وعن الروح وعن الرّجل الطوّاف، فإن أجابكم فهو نبيّ بحت وإن لم يجبكم فهو مدّعي النّبوءة.

و<< الضّمير في (يسألونك) عائد على قريش أو على اليهود والمشهور أنّ السّائلين قريش حين دسّتها اليهود على سؤاله عن الرّوح وفتية ذهبوا في الدّهر ليقع امتحانه بذلك>>[2].

فالمحال إليه هنا هو قريش وضمير الإحالة مستتر في (يسألونك)، ولم يرد ذكر قريش في هذا النص، وبالتالي فالضّمير أحال إلى معهود ذهني خارج النص فهي إحالة خارجية، << فالسّائلون: قريش لا محالة، والمسؤول عنه: خبر رجل من عظماء العالم عرف بلقب ذي القرنين>>[3] .

وقد ساهمت الإحالة هنا في ربط ما في ذهن المتلقي لما ورد في النصّ القرآنيّ، وبالتّالي حقّقت التّماسك والارتباط في هذه الآية.

ومن أمثلة ورود العنصر الإحاليّ (هما) أيضا في القرآن، قوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيۡنَ ٱلسَّدَّيۡنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوۡمٗا لَّا يَكَادُونَ يَفۡقَهُونَ قَوۡلٗا ﴿٩٣﴾ ﴾.

جاء في صفوة التفاسير في تفسير هذه الآية: << أي وجد من وراء السّدين قوما متخلفين لا يكادون يعرفون لسانا غير لسانهم إلّا بمشقّة وعسر>>[4].

---

[1]– ابن عطية: المحرر الوجيز، ص 3/ 538.

[2]– أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، 6 / 149.

[3]– محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، 16 / 17.

[4]– المرجع نفسه، 2 / 06.

فالضّمير (هما) جاء متّصلا بلفظة (دون) ويعود على (السّدين) المذكور قبله، فهي إحالة قبليّة داخليّة، وقد ساهم العائد (هما) في ربط العناصر اللغويّة في الآية ممّا أدّى إلى سبكها.

وورد في هذا الضّمير (هم) كذلك عنصرا إحاليّا في قوله تعالى: ﴿ قَالُواْ يَٰذَا ٱلۡقَرۡنَيۡنِ إِنَّ يَأۡجُوجَ وَمَأۡجُوجَ مُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَهَلۡ نَجۡعَلُ لَكَ خَرۡجًا عَلَىٰٓ أَن تَجۡعَلَ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَهُمۡ سَدّٗا ﴿٩٤﴾ ﴾.

حيث جاء الضّمير هم) متّصلا بـــ (بين)، جاء في صفوة التفاسير للصّابوني أنّ قوله تعالى: <<على أن تجعل بيننا وبينهم سدا>> أي لتجعل سدا يحمينا من شر يأجوج ومأجوج[1]

فالضّمير المتّصل (هم) أحال على يأجوج ومأجوج المذكور قبله، فهي إحالة نصيّة قبليّة، ذكر فيها المحال إليه داخل النصّ، فهي داخليّة وقد أحدثت الإحالة في هذه الآية نوعا من الانسجام الداخليّ بين وحدات النصّ.

الإحالة بأسماء الإشارة :

تعدّ أسماء الإشارة من أبرز عناصر الإحالة في القرآن الكريم، وفي سورة الكهف بشكل خاصّ، ومن أمثلتها: اسم الإشارة (هذا) وقد ورد في قوله تعالى: ﴿ فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمۡ إِن لَّمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ أَسَفًا ﴿٦﴾ ﴾.

يقول ابن عاشور في التحرير والتنوير: << واسم الإشارة وبيانه مراد به القرآن، لأنّه لحضوره في الأذهان كأنّه حاضر في مقام نزول الآية فأشير له بذلك الاعتبار وبيّن بأنّه الحديث>>[2].

فاسم الإشارة (هذا) يعود على الحديث وهو القرآن الكريم والمحال إليه في هذه الآية ذكر بعد اسم الإشارة، فهي إحالة بعديّة حيث ربط اسم الإشارة (هذا) بين أجزاء هذه الآية ممّا حقّق الاتّساق بصورة واضحة.

---

[1]– محمد الصابوني: فقه التفاسير، 2 / 206.

[2]– محمد الطاهر ابن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، 15 / 55.

كما يرى ابن كثير أنّ هذه الآية نزلت تسلية للرّسول صلّى الله عليه وسلم حيث << يقول تعالى مسليّا رسوله صلّى الله عليه وسلّم في حزنه على المشركين، وبعدهم عنه، كما قال تعالى: ﴿ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ۝ ﴾ [فاطر: 08]، [...] باخع: أي مهلك نفسك بحزنك عليهم>>[1]. فالله تعالى يوصي رسوله بألّا يحزن على قومه ولا يهلك نفسه إن لم يؤمنوا بالقرآن الكريم.

تحيل أسماء الإشارة غالبا إلى داخل النصّ، إذ تمكّن من تنسيق المفاهيم وإزالة الإبهام عن عبارات النصّ القرآن على وجه الخصوص، وقد وردت كثيرا في سورة الكهف، منها قوله تعالى: ﴿ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمُنَا ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً ۖ لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَٰنٍۭ بَيِّنٍ ۖ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ۝ ﴾.

جاء في بداية هذه الآية اسم الإشارة (هؤلاء) وهو للجمع، وقد أحال إلى لفظ (قومنا) << والإشارة إلى قومهم بـــ (هؤلاء) القصد تمييزهم بما سيخبر به عنهم>>[2]. فالمحال إليه ورد بعد العنصر الاستشاريّ، فهي إحالة داخليّة بعديّة.

وقد ورد في تفسير (اللّباب في علوم الكتاب)، في قوله تعالى: << هؤلاء قومنا>> أنّ << هذا قول أصحاب الكهف يعنون أهل بلدهم هم الذين كانوا في زمن دقيانوس>>[3].

حيث ساهم اسم الإشارة (هؤلاء) في ربط أوّل الآية بما يأتي بعده، معنى ذلك أنّه ربط جزءا لاحقا من النصّ بجزء سابق ومن ثمّ أدّى إلى سبك النصّ.

كما ورد اسم الإشارة (كذلك) في قوله تعالى من نفس السّورة: ﴿ وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَٰهُمْ لِيَتَسَآءَلُوا۟ بَيْنَهُمْ ۚ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ ۖ قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۚ قَالُوا۟ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ

[1]– إسماعيل بن كثير: تفسير القرآن العظيم، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، ط 1، 2000م، ص 1146.

[2]– محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، 15 / 274.

[3]– عمر الحنبلي: اللباب في علوم الكتاب، 12 / 438.

فَٱبۡعَثُوٓاْ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمۡ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلۡمَدِينَةِ فَلۡيَنظُرۡ أَيُّهَآ أَزۡكَىٰ طَعَامٗا فَلۡيَأۡتِكُم بِرِزۡقٖ مِّنۡهُ وَلۡيَتَلَطَّفۡ وَلَا يُشۡعِرَنَّ بِكُمۡ أَحَدًا ﴿١٩﴾ ﴾.

يذهب صاحب "البحر المحيط" أبو حيان الأندلسيّ إلى أنّ: << الكاف للتشبيه والإشارة بذلك: قيل: إلى المصدر المفهوم من فضربنا على آذانهم أي مثلما جعلنا إنامتهم هذه المدة الطويلة آية جعلنا بعثهم آية>>[1]. فالكاف للتشبيه، واسم الإشارة (ذلك) يحيل إلى المصدر المفهوم من قوله في الآية الحادية عشر ((فضربنا على آذانهم في الكهف سنين عددا))، أي كما كانت معجزة نومهم ثلاثمائة وتسع سنين كان بعثهم أيضا معجزة، وبما أنّ المحال إليه قد ذكر قبلا فهي إحالة نصيّة قبليّة داخل النصّ، ربطت بين ثمانية آيات متتالية في هذه السّورة، وبذلك حصل التّماسك النّصيّ.

ومن أسماء الإشارة الأخرى التي وردت في هذه الآية عنصرا إحاليّا الاسم (هذه)، في قوله تعالى: ﴿... وَكَذَٰلِكَ بَعَثۡنَٰهُمۡ لِيَتَسَآءَلُواْ بَيۡنَهُمۡۚ قَالَ قَآئِلٞ مِّنۡهُمۡ كَمۡ لَبِثۡتُمۡۖ قَالُواْ لَبِثۡنَا يَوۡمًا أَوۡ بَعۡضَ يَوۡمٖۚ قَالُواْ رَبُّكُمۡ أَعۡلَمُ بِمَا لَبِثۡتُمۡ فَٱبۡعَثُوٓاْ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمۡ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلۡمَدِينَةِ فَلۡيَنظُرۡ أَيُّهَآ أَزۡكَىٰ طَعَامٗا فَلۡيَأۡتِكُم بِرِزۡقٖ مِّنۡهُ وَلۡيَتَلَطَّفۡ وَلَا يُشۡعِرَنَّ بِكُمۡ أَحَدًا ﴿١٩﴾ ﴾، << أي فأرسلوا واحدا منكم إلى المدينة بهذه النقود الفضية>>[2].

فاسم الإشارة (هذه) في الآية يعود على النّقود الفضيّة الورق << والورق بفتح الواو وكسر الرّاء، الفضّة (...) والإشارة بهذه إلى دراهم معينة عنهم>>[3]. وهي إحالة داخليّة قبليّة ساهمت في ربط أجزاء الآية وحسن سبكها.

وقد وردت أسماء إشارة أخرى عنصرا إحاليّا في هذه السّورة، نذكر منها اسم الإشارة (ذلك) الذي ورد في قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيۡءٍ إِنِّي فَاعِلٞ ذَٰلِكَ غَدًا (23) ﴾.

---

[1]– أبو حيان الأندلسي: البحر المحيط، 6/ 106.

[2]– محمد الصابوني: صفوة التفاسير، مج 186/15/2.

[3]– محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، 15 / 285.

حيث أحال إلى (الشّيء) أو الأمر. جاء في التحرير والتنوير أنّ << الإشارة بقوله (ذلك) عائدة إلى «شيء» أي أنّي فاعل الإخبار بأمر يسألونه >>[1]. وقد ذكر المحال إليه قبل اسم الإشارة فهي إحالة داخليّة قبليّة صنعت جسرا ربط بين وحدات النصّ.

وجاء اسم الإشارة (أولئك) في قوله تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ ۚ نِعْمَ ٱلثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٣١﴾ ﴾.

وقد أحيل به إلى المؤمنين الذين يعملون الصّالحات: <<وافتتاح الجملة باسم الإشارة لما فهي من التنبيه على أنّ المشار إليهم جديرون لما بعد اسم الإشارة لأجل الأوصاف المذكورة قبل اسم الإشارة لأجل الأوصاف المذكورة قبل اسم الإشارة، وهي كونهم آمنوا وعملوا الصالحات>>[2].

وقد ذكر المحال إليه في الآية التي قبلها في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾ ﴾ [الكهف–30] فهي إحالة داخليّة قبليّة نصيّة ربطت هذه الآية بالآية التي قبلها فأحدثت تماسكا نصيّا بينهما.

وورد اسم الإشارة (هذه) أيضا عنصرا إحاليّا في قوله تعالى: ﴿ وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا ﴿٣٥﴾ ﴾، حيث أحال إلى الجنّة وقوله تعالى: ﴿مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا ﴾، << أي ما أعتقد أن تفنى هذه الحديقة أبدا>>[3]. فاسم الإشارة (هذه) يعود على الحديقة المذكورة قبله فهي إحالة داخليّة قبليّة.

---

[1]– محمد الصابوني: صفوة التفاسير، مج2/15/200.

[2]– محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، 15/ 311.

[3]– محمد الصابوني: صفوة التفاسير، مج2، 15/192.

وقد ورد اسم الإشارة (هذا) أيضا عنصرا مُحيلا إلى القرآن في قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَـٰنُ أَكْثَرَ شَىْءٍ جَدَلًا ﴿٥٤﴾ ﴾.

يرى الصّابوني في تفسير هذه الآية أنّ قوله تعالى: (ولقد صرفنا في هذا القرآن) << أي بينا في هذا القرآن الأمثال وكررنا الحجج والمواعظ >>[1]، حيث ربط العائد (هذا) المحال إليه وهو (القرآن) بما قبله وما بعده في الآية، وقد ذكر القرآن بعد العنصر الإحاليّ (هذا)، فهي إحالة داخليّة بعديّة ساهمت في الاتّساق والسّبك النصّيّ.

وجاء أيضا اسم الإشارة (هذا) عنصرا إحاليّا في الآية الثانية والستّين من سورة الكهف، وقد أحال إلى السّفر، حيث يقول تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَـٰذَا نَصَبًا ﴿٦٢﴾ ﴾. وقد أشير في هذه الآية إلى السّفر باسم الإشارة (هذا)، وقوله تعالى: ﴿لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَـٰذَا نَصَبًا﴾ أي << لقينا في هذا السّفر العناء والتعب >>[2]. والمحال إليه –هنا– هو السّفر، وقد ذكر قبل اسم الإشارة، فهي إحالة قبليّة داخليّة، برزت أهميتها في ربط أجزاء الآية بعضها ببعض ممّا أحدث نوعا من الاتّساق في النصّ.

وورد اسم الإشارة (هذا) كذلك عنصرا إحاليّا في قوله تعالى: ﴿ قَالَ هَـٰذَا فِرَاقُ بَيْنِى وَبَيْنِكَ ۚ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٧٨﴾ ﴾. وقد حال به السّياق القرآنيّ إلى الفراق، أي: << قال الخضر: هذا وقت الفراق بيننا >>[3]. فأشار إلى الفراق بالعنصر (هذا) وقد ذكر المحال إليه قبل العنصر الإحاليّ، فهي إحالة قبليّة داخليّة، ساهمت في ربط الوحدات اللغويّة المكوّنة للنصّ، ممّا أضفى سمة بارزة من سمات الاتّساق.

---

[1]– محمد الصابوني: صفوة التفاسير، مج2، 15/ 196.

[2]– المرجع نفسه، مج 15/ 2/ 200.

[3]– محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، 297/15.

وورد اسم الإشارة (ذلك) الدّال على المفرد البعيد عنصرا إحاليّا في قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى ۚ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ ﴿٨٢﴾ صَبْرًا ﴾.

اشتملت هذه الآية على اسم الإشارة (ذلك) الدّال على المفرد المذكر البعيد، وقد أحال على (التأويل)، أي << ذلك تفسير الأمور التي لم تستطع الصبر عليها وعارضت فيها قبل أن أخبرك عنها>>[1]، حيث ورد بعده يعد العنصر الإشاريّ (التأويل)، فهي إحالة بعديّة صنعت تماسكا دلاليّا بين عبارات النصّ القرآنيّ.

ووُظّف اسم الإشارة (أولئك) عنصرا إحاليّا في قوله تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا ﴿١٠٥﴾ ﴾. فقد أحال اسم الإشارة (أولئك) إلى الكفّار، و<< جيء باسم الإشارة لتمييزهم أكمل تميز لئلا يلتبسوا بغيرهم على نحو قوله تعالى (وأولئك هم المفلحون)، وللتنبيه على أنّ المشار إليهم أحرياء لما بعد اسم الإشارة من حكم بسبب ما أجري عليهم من الأوصاف>>[2].

وقد ذكر المحال إليه في الآية 102 في قوله تعالى: ﴿أَفَحَسِبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن يَتَّخِذُوا۟ عِبَادِى مِن دُونِىٓ أَوْلِيَآءَ ۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ نُزُلًا ﴿١٠٢﴾ ﴾ وتواصل الحديث عنهم في الآيتين بعدها حيث وصفهم الله تعالى بالأخسرين أعمالا والذين ضلّ سعيهم في الحياة الدنيا، وبالتّالي فهي إحالة نصيّة قبليّة داخل النصّ، ربطت بين أربع آيات متتاليات، فقامت بذلك السّبك والتّلاحم بين الآيات.

[1]– محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، 15/ 297.

[2]– المرجع نفسه، 47/16.

وورد أيضا اسم الإشارة (ذلك) عنصرا إحاليّا في قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُواْ وَٱتَّخَذُوٓاْ ءَايَٰتِي وَرُسُلِي هُزُوًا ﴿١٠٦﴾ ﴾، حيث جاء في بداية الآية، وقد ربط بين هذه الآية وما قبلها، إذ أحال على << ما تقدّم من وعيدهم في قوله (إنّا أعتدنا جهنم للكافرين نزلا) أي ذلك الإعداد جزاؤهم>>[1].

فالمحال إليه هنا هو (إعداد جهنم للكافرين) وقد ذكر في الآية التي قبلها، فهي إحالة داخليّة قبليّة، وعليه فإنّ اسم الإشارة (ذلك) ساهم بشكل كبير في ربط السّابق باللّاحق من آيات هذه السّورة ممّا أحكم سبك النصّ القرآني شكليّا ودلاليّا.

الإحالة بالأسماء الموصولة :

تعدّ الأسماء الموصولة من أهم العناصر الإحالة التي لها دور فعّال في الرّبط بين التراكيب النحويّة كما تساهم في إثراء الرّصيد الدّلاليّ للنصّ، وقد برزت بكثرة في القرآن الكريم، خاصّة في سورة الكهف، من أمثلتها قوله تعالى: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَاۜ ﴿١﴾ ﴾.

والمعنى في هذه الآية: << الثناء الكامل مع التعظيم والإجلال لله الذي أنزل على رسوله محمد القرآن نعمة عليه وعلى سائر الخلق>>[2]. وفي هذا إشارة واضحة إلى أنّ الاسم الموصول (الذي) يحيل إلى الله تعالى، وقد ذكر المحال إليه (الله) قبل العنصر الإحاليّ، فهي حالة داخليّة قبليّة حقّقت الرّبط والاتّساق بين أجزاء هذه الآية.

ومن الأسماء الموصولة التي وظّفت بكثرة عنصرا إحاليّا في هذه السورة (الذين) حيث ورد في قوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوٓاْ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَآ إِذْ يَتَنَٰزَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْۖ فَقَالُواْ ٱبْنُواْ عَلَيْهِم بُنْيَٰنًاۖ رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْۚ قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُواْ عَلَىٰٓ

[1]– محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، 15 / 248.

[2]– المرجع نفسه، 15 / 285.

أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا ﴿٢١﴾ ﴾. فعنصر الإحالة في هذه الآية هو (الّذين) وقد أحال على (الفريق الآخر الغالب) أي << قتال الفريق الآخر وهم الأكثرية الغالبة: لنتخذنّ على باب الكهف مسجدا نصلّي فيه ونعبد الله >>[1]. فهي بذلك إحالة بعديّة نصيّة ربطت بين النصّ الذي بعدها بما قبلها فجاءت الآية في قالب واحد.

تنقّل الاسم الموصول (الذين) بين مواضع مختلفة في عدّة آيات، حيث ورد في أوائل هذه السّورة في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً ﴿٣٠﴾ ﴾.

وقد أحال الاسم الموصول (الذين) إلى المؤمنين المتقين، حيث جاء في كتاب "أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير" أنّ << وعد من آمن وعمل صالحا وقد تضمّنته الآيتان 31-32 قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً ﴿٣٠﴾ ﴾ هذا حكمننا الذي لا تبديل له وبيّن تعالى أجرهم على إيمانهم وإحسان أعمالهم >>[2].

فاسم الموصول (فالذين) يحيل إلى الذين آمنوا وعملوا صالحا، وقد بيّن الله أن لهم أجرا عظيما، حيث ذكر المحال إليه بعد الاسم الموصول فهي إحالة داخليّة بعديّة ساهمت في ربط صلة الموصول بما مما وعد الله به المؤمنين من جنّات ونعيم.

كما ورد الاسم الموصول (الذي) عنصرا إحاليّا في قوله تعالى: ﴿ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ﴿٣٧﴾ ﴾، حيث أحال إلى لفظ الجلالة الله في الجملة (أكفرت بالذي خلقك)، أي << أجحدت الله الذي خلق أصلك من تراب ثمّ من منيّ ثمّ سوّاك إنسانا سويّا >>[3].

---

[1]- محمد الصابوني: صفوة التفاسير، 15 / 186.

[2]- جابر الجزائري: أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، اسم للدعاية والإعلان، ط 3، 1990م، 2 / 245.

[3]- محمد الصابوني: صفوة التفاسير، مج 2، 15/ 186.

ونفهم من قول الصّابوني أنّ الاسم الموصول(الذي) أحال إلى الله، حيث وصل الخلق باللّه تعالى وبذلك حقّق ربط ما بعده بما قبله، وهذا لعمري من أوضح دلالات الاتّساق النصّيّ.

وورد الاسم الموصول (الّذين) عنصرا إحاليّا في أواخر هذه السّورة، منها قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ كَانَتۡ أَعۡيُنُهُمۡ فِي غِطَآءٍ عَن ذِكۡرِي وَكَانُواْ لَا يَسۡتَطِيعُونَ سَمۡعًا ﴿١٠١﴾ ﴾، حيث جاء في بداية الآية وقد أحيل به إلى الكافرين المذكور في الآية التي قبلها في قوله تعالى: ﴿ وَعَرَضۡنَا جَهَنَّمَ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡكَٰفِرِينَ عَرۡضًا ﴿١٠٠﴾ ﴾ [الكهف-100]، << ونعت الكافرين بـــ: الذين كانت أعينهم في غطاء، للتنبيه أنّ مضمون الصّلة هو سبب عرض جنّهم لهم، أي الذين عرفوا بذلك في الدنيا>>[1]. فهي إحالة داخليّة قبليّة ربطت صلة الموصول (الذين كانت أعينهم في غطاء) بالعنصر الإشاريّ (الكافرين) في الآية التي قبلها فحقّقت بذلك الاتّساق النصّيّ بين هذه الآيات.

وممّا ورد عنصرا إحاليّا في هذه السّورة (الّذين) في قوله تعالى: ﴿ أَفَحَسِبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن يَتَّخِذُواْ عِبَادِي مِن دُونِيٓ أَوۡلِيَآءَۚ إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا جَهَنَّمَ لِلۡكَٰفِرِينَ نُزُلًا ﴿١٠٢﴾ ﴾، حيث أحال اسم الموصول (الذين) إلى الكفّار، و<< لّما بيّن إعراض الكافرين عن الذكر، وعن سماع ما جاء به رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أتبعه بقوله (أفحسب الذين كفروا) والمعنى: أفظنّ الذين كفروا أن ينتفعوا لما عبدوه>>[2]. فهي إحالة بعديّة داخل النصّ، ساهمت في ربط أجزاء الآية.

ووُظّف اسم الموصول (الّذين) عنصرا إحاليّا في قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعۡيُهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ يَحۡسَبُونَ أَنَّهُمۡ يُحۡسِنُونَ صُنۡعًا ﴿١٠٤﴾ ﴾ مُحيلا به إلى الكفّار الّذين وصفهم الله

---

[1]- محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، 42/16.

[2]- عمر الحنبلي: اللباب في علوم الكتاب، 571/12.

بالأخسرين أعمالا، وقوله: << الذين ضلّ سعيهم بدل من الأخسرين أعمالا، وفي هذا الإطناب زيادة التشويق إلى معرفة هؤلاء الأخسرين حيث أجري عليهم من الأوصاف ما يزيد السامع حرصا على معرفة الموصوفين بتلك الأوصاف والأحوال>>[1]، حيث المحال إليه هنا هو (الأخسرين أعمالا)، وقد ذكر في الآية التي قبلها في قوله تعالى: (قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا) فهي إحالة داخليّة قبليّة ساهمت في ترابط أجزاء هذه السورة ممّا أعطى السّياق دلالة فريدة تغني عن ذكر الكثير من الكلام.

من خلال دراستنا للنّماذج التي احتوت على الضّمائر والأسماء الموصولة وأسماء الإشارة، نلاحظ أهمية الإحالة في ترابط النصّ وتلاحمه، فهي عنصر مهمّ من عناصر الاتّساق خاصّة في القصص القرآنيّ.

ومن أنواع الإحالة في سورة الكهف كذلك الإحالة التعريفيّة، وهي التي يكون فيها العنصر الإحاليّ هو (ألـــ) التعريف، وقد وردت في قوله تعالى: ﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبۡدِهِ ٱلۡكِتَٰبَ وَلَمۡ يَجۡعَل لَّهُۥ عِوَجَاۜ ۝١ ﴾.

جاء في التحرير والتنوير أنّ << الكتاب: القرآن فكلّ مقدار منزل من القرآن فهو (الكتاب)، فالمراد بالكتاب هنا ما وقع إنزاله من يوم البعثة في غار حراء إلى يوم نزول هذه السّورة، ويلحق به ما ينزل بعد هذه الآية و يزداد به مقداره>>[2]. فالمقصود بالكتاب هنا هو القرآن الكريم، وبذلك تكون الإحالة إلى معهود ذهنيّ خارجيّ، فهي إحالة خارجيّة ربطت بين هذه الآية وما يأتي بعدها من الآيات.

وورد هذا الصنف من الإحالة في موضع آخر من السّورة حيث يقول تعالى: ﴿فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمۡ إِن لَّمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ أَسَفًا ۝٦ ﴾.

---

[1]– عمر الحنبلي: اللباب في علوم الكتاب، 46/16.

[2]– محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، 15 / 247.

جاء في كتب التفسير احتمالات للإحالة التعريفيّة، أحدها: ما ورد في تفسير الطبري حول قوله تعالى: ﴿إِن لَّمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ أَسَفًا﴾ أي إِن لَّمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ أَسَفًا ﴿٦﴾[1].

فالمقصود بالحديث عند الطّبريّ هو الكتاب، وقد ورد ذكره في أول السورة، وعلى هذا يكون التعريف لمعهود لفظي سابق فهي إحالة داخليّة قبليّة حققت الرّبط بين تسعة جمل كاملة من أوّل السّورة.

والثّاني ما جاء في التحرير والتنوير حيث أنّ << الحديث: الخبر، وإطلاق اسم الحديث على القرآن باعتبار أنه إخبار من الله لرسوله، إذ الحديث هو الكلام الطويل المتضمن أخبارا وقصصا>>[2].

وبهذا يصبح المحال إليه هو القرآن الكريم وهو معهود ذهنيّ خارجيّ، وبالتّالي فهي إحالة خارجيّة، وهذا ما حقق الاتّساق بشكل واضح.

وكانت أغلب هذه النّماذج المذكورة سابقا –على سبيل الحصر– أبرز مثال على مدى مساهمة الإحالة في تقديم النصّ في قالب واحد فنيّ متلاحم.

وبناء على هذه النماذج المنتقاة من سورة الكهف يتبين لنا مدى فعالية الإحالة في الربط بين أجزاء هذه السورة خاصة الإحالة بالمضير نظرا لكثرة الضمائر في هذه السورة، والإحالة بأسماء الإشارة والأسماء الموصولة التي تربط بين جملتين أو أكثر فتساهم في تحقيق اتساق بنية النص القرآني.

[1]– محمد الطبري: جامع البيان في تأويل القرآن، 149/15.

[2]– محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، 15 / 255.

خاتمة

بعد هذا المسار العلميّ الذي لا يخلو من العراقيل، استطعنا الوصول إلى ختام بحثنا هذا، ولا بدّ في هذا الختام أن نستعرض أهمّ النتائج المتوصّل إليها من خلال تتبعنا لأهمّ محطّات علم لسانيات النّص، ومن أبرز هذه النتائج .

– لسانيات النّصّ فرع علميّ حديث من أهم فروع علم اللّغة الذي يقوم على دراسة النّصوص كونها أكبر وحدة لغوية قادرة على توفير عدد مرضٍ من التراكيب اللغويّة التي يمكن إخضاعها للوصف والتحليل؛

– العلاقة الكبيرة بين اللسانيات النّصية الحديثة والتراث اللغوي العربيّ، وعلم التفسير وعلوم القرآن، حيث لا ننكر إسهامات العرب الفعّالة في تطوير الفكر اللّسانيّ العربيّ؛

– الاتّساق ظاهرة شكليّة متعلّقة بالنّص يتجلّى في الأدوات والرّوابط النّصية التي تعمل على إحكام سبك النّص.

– الرّبط بالأداة من أهم الآليات التي تحقّق الاتساق النّصي خاصّة في القرآن الكريم حيث يعمل على ربط المفردات والآيات بعضها البعض؛

– من أهمّ أدوات الرّبط المختصّة بالدّخول على المفردات والّتي كان لها حضور لافت في سورة الكهف، حروف الجرّ وأداة الاستثناء (إلّا)، حيث أدّت وظيفتين بارزتين، وظيفة تركيبيّة إذ ساهمت في اتّساق النصّ بالرّبط بين عناصر التركيب ودعم علاقة التعليق بين عناصره، ووظيفة دلاليّة بما جرّته من دلالات جديدة إلى السّياق.

– حفل النصّ القرآنيّ بأدوات ربط تختصّ بالدّخول على المفردات وعلى الجمل، حيث ساهمت هذه الرّوابط في تماسك عناصر النصّ واتّساقه. وعلى رأس هذه الأدوات حروف العطف ولام التعليل اللّذين شحنَا السّياق القرآنيّ بشحنات دلاليّة جديدة، وأسهما في سبك النصّ بالرّبط بين عناصره، مفردات وجمل.

– للأدوات المختصّة بالدّخول على الجمل حضور لافت في سورة الكهف مؤدّية وظيفة تركيبيّة وأخرى دلاليّة، على رأسها أدوات الشّرط، حروف وأسماء، فتنوّعها في سياقات

مختلفة من آيات السّورة تولّد عنه ثراء دلاليّ، يُضاف إليه سبك عناصر النصّ وتحقيق أمن اللّبس بإبراز طبيعة التراكيب التي ارتبطت بها. كما كان للجملة الحاليّة دور دلاليّ في السّياق القرآنيّ، يبرز من خلالها رابطان، واو الحال والضّمير، اللّذان ساعدا على تماسك عناصر التركيب ممّا ساهما في اتّساق النصّ تركيبيّا وانسجامه دلاليّا.

– برزت الإحالة في سورة الكهف بنوعيها: القبليّة والبعديّة، وكان أكثر أمثلتها تواردًا هو الإحالة بالضّمير، حيث ساهمت الضّمائر بشكل كبير في ربط الجمل والتراكيب اللغويّة، خاصّة الضّمائر المتّصلة والمستترة، كما لا ننسى أسماء الاشارة والأسماء الموصولة التي لا تحمل معنى في ذاتها بل تحيل إلى ما قبلها أو بعدها ليتّضح معناها؛

– الرّبط والاحالة من أهم الوسائل التي حقّقت الاتساق والترابط في سورة الكهف خاصّة وأنها سورة تحتوي على العديد من القصص التي تبدو في ظاهرها أنّها لا تترابط فيما بينها.

ومن خلال هذا كلّه تبيّن لنا أنّ سورة الكهف مليئة بأدوات الاتساق التي ساهمت في ربط قصصها التي تبدو للوهلة الأولى لا ترتبط، فالاتّساق يعدّ حجر الأساس في لسانيات النّص حيث يبرز أهمّ مواطن الجمال اللغويّ في النّص القرآنيّ.

قائمة المصادر والمراجع

- القرآن **الكريم برواية ورش.**

الكتب العربيّـــــة :

- أحمد خضر، حسنين الحسن: أسلوب الشّرط بين النحويين والأصوليين، الدار العلمية للنشر والتوزيع، الإسكندرية، مصر، ط 1، 2016م.
- الأفغاني، سعيد: الموجز في قواعد اللّغة العربيّة، دار الفكر، (د ط)، (د ت)،
- الآمدي: الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري، تح: أحمد صقر، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط 4، (د.ت).
- أنيس، إبراهيم: من أسرار اللّغة، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، مصر، ط 3، 1966م.
- بحيري (سعيد): علم لغة النصّ: المفاهيم والاتجاهات، مكتبة لبنان ناشرون، لونجمان، ط 1، 1997.
- بوزغاية (رزيق) :، ورقات في لسانيات النص، المثقف للنشر والتوزيع، باتنة، الجزائر، ط 1، 2018.
- بوقرة (نعمان): المصطلحات الأساسية في لسانيات النصّ وتحليل الخطاب، عالم الكتب الحديث، عمان، الأردن، ط 1، 2009م.
- التبريزي (يحي بن علي)، الموضح في شعر أبي الطيب المتنبي، تح: خلف رشيد نعمان، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، العراق، ط1، 2004.
- تمام (حسان): – البيان في روائع القرآن، عالم الكتب، القاهرة، ط 1، 1993.

– الخلاصة النحوية، عالم الكتب، القاهرة، ط 1، 2000م.

– اللغة العربية، معناها ومبناها، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، ط01، 1994.

- الجرجاني (عبد القاهر)، دلائل الإعجاز، تعليق: محمود شاكل، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، (د.ط)، (د.ت).
- ابن الحاجب: شرح الرضي على كافية ابن الحاجب، تح: د. عبد العال سالم مكرم، ج 5، عالم الكتب، القاهرة، ط 1، 2001م.
- حمداوي (جميل)، محاضرات في لسانيات النص، الألوكة، الناظور، المغرب، ط 1، 2015م.
- عبد الحميد (محمد محي الدين)، التحفة السنية بشرح المقدمة الأجرومية، وزارة الأوقاف و الشؤون الاسلامية، قطر، (دط)، 2007 م.
- حميدة مصطفى: نظام الرّبط، الارتباط في ترتيب الجملة العربية، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، لبنان، ط 1، 1997.
- أبو حيان الأندلسي: ارتشاف الضرب، تح: د. رجب عثمان محمد و د. رمضان عبد التواب، ج 2، ط 1، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1998م.
- خالد إسماعيل حسان، في المعنى النحوي والمعنى الدلالي، مكتبة الآداب للطباعة والنشر والتوزيع، ط 1، 2009.
- خطابي، محمد: لسانيات النصّ – مدخل إلى انسجام الخطاب، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط 1، 1991م.
- الخضري، محمد الأمين: من أسرار الحروف العطف في الذكر الحكيم، ط1، مكتبة وهبة، القاهرة، مصر.
- رفعت، حسين: الموقعية في النحو العربي، عالم الكتب، القاهرة، ط 1، 2005.
- الرمّاني، علي: معاني الحروف، تح: عرفان بن سليم العشا حسونة، المكتبة العصرية صيدا، لبنان (دط)، (د ت)،
- الزجاجي: الجمل، تحقيق: د. علي توفيق الحمد، ط 1، مؤسسة الرسالة، 1988م.

- صالح، صبحي: مباحث في علوم القرآن، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط10، 1977م.
- الصبيحي، محمد الأخضر: مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقية، الدار العربية للعلوم، بيروت، لبنان، (د.ط)، (د.ت).
- السامرائي، فاضل صالح: معاني النحو، ج 3، دار الفكر للطباعة و النشر، عمان، ط 1، 2000م.
- ابن السراج، الأصول في النحو، ج 1، مؤسسة الرسالة، ط 3، 1996م.
- السرخسي، محمد بن أحمد: أصول السرخسي، تح: أبو الوفاء الأفغاني، لجنة إحياء المعارف النعمانية، الهند، (د.ط)، (د.ت)،
- سيبويه: الكتاب، تح: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط 3، 1988م.
- الشاوش، محمد: أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية، المؤسّسة العربية للتوزيع، بيروت، 2001.
- الشمسان، أبو أوس إبراهيم: حروف الجر دلالاتها وعلاقاتها، مطبعة المدني، جدة، ط 1، 1987.
- شبل، عزة محمد: علم لغة النص، تقد: سليمان العطار، مكتبة الآداب، القاهرة، مصر، ط 2، 2009م.
- الشلوبي: شرح المقدمة الجزولية، تح: د. تركي العتيبي، مكتبة الرشد، الرياض، ط 1، 1993م.
- ابن ظافر، عبد الهادي الشهري: استراتيجيات الخطاب، دار الكتاب الجديد، بيروت، لبنان، ط 1، 2003م.

- العثيمين، محمد بن صالح: شرح متن الأجرومية، مكتبة الرشد، السعودية، ط 1، 2005.
- عزّام، محمّد: النصّ الغائب تجليات التناص في الشعر العربي، اتّحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، (د.ط)، 2001م.
- عزة، محمد: علم لغة النص، مكتبة الآداب، القاهرة، مصر، ط 1، 2007م.
- ابن عصفور: شرح جمل الزجاجي، ج 2، تقديم: فواز الشعار، ط 1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1998م،
- عفيفي، أحمد: – نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، مصر، ط1، 2011م.

– الإحالة في نحو النصّ، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، (د ط)، (د ت).

- العلوي، ابن طباطبا: عيار الشعر، تح: عباس عبد الساتر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 2005.
- العموش (خلود): الخطاب القرآني دراسة في العلاقة بين النص والسياق، جدار للكتاب العالمي، عمان، الأردن، ط 1، 2008م.
- عياشي (منذر)، العلاماتية وعلم النص، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط 1، 2004م.
- الغلابيني (مصطفى): جامع الدروس العربية، مراجعة: عبد المنعم خفاجة، المكتبة العصرية، صيدا، لبنان، (دط)، (د ت).
- الفاكهي: شرح الحدود في النحو، تح: د. متولي رمضان أحمد الدميري، 1408 ه – 1988م.
- الفقي (صبحي إبراهيم): علم لغة النص بين النظرية والتطبيق، دار قباء، القاهرة، مصر، ط 1، 2000.

- الفوزان (عبد الله): دليل السالك إلى ألفية ابن مالك، ج 1، دار القلم، الرياض، السعودية، ط 1، 1999.
- المالقي، أحمد بن عيد النور: رصف المباني في شرح حروف المعاني، تح: أحمد محمد الخرائط، مطبوعات
مجمع اللغة العربية بدمشق،
- ابن مالك (الأندلسي): – متن الألفية، د ط، المكتبة الشعبية، لبنان، د ت.
– شرح التسهيل، تح: د. عبد الرحمان السيّد، ود. محمد بدوي المختون، ج 4، هجر للطباعة والنشر والتوزيع، ط 1، 1990م.
- المبرد: المقتضب، تح: محمد عبد الخالق عضيمة، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، مصر، ط2، 1989.
- مجمع اللّغة العربيّة، دمشق، سوريا، (د ط)، (د ت)،
- مداس، أحمد: لسانيات النص نحو منهج لتحليل الخطاب الشعري، جدار للكتاب العالمي، الأردن، عمان، ط2، 2009م.
- المرادي: الجنى الداني في حروف المعاني، تح: د. فخر الدين قباوة ومحمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1، 1992م.
- المخزومي (مهدي)، في النحو العربي نقد وتوجيه، دار الرائد العربي، بيروت، لبنان، ط2، 1986م.
- الملخ (حسن خميس: نظرية الأصل والفرع في النحو العربي، دار الشروق، عمان، الأردن، ط 1، 2001م.
- الهروي، علي بن محمد: الأزهية في علم الحروف، تح: عبد المعين الملوحي، ط 2، مطبوعات المجمع اللغوي بدمشق، 1993م.

- ابن هشام، الأنصاري: – شرح قطر الندى وبل الصدى، تح: محمد الدين عبد الحميد، ط2، المكتبة العصرية، 1997.

– مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تح: مازن المبارك علي حمد الله، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط1، 1964م.

- يقطين (سعيد): تحليل الخطاب الروائيّ (الزّمن – السّرد – التبئير)، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط 3، 1997م.
- ابن يوسف (أحمد): الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، تح: أحمد محمد الخراط، ج 7، دار القلم، دمشق، سوريا، (د ط)، (د ت).

الكتب المترجمة :

- بروان، ج. ب و ج. بول، تحليل الخطاب، تر: محمد لطفي الزليطي ومنير التريكي، النشر العلمي والمطابع، المملكة العربية السعودية، (د.ط)، 1998.
- بوغراند، روبيرد، النصّ والإجراء والخطاب، تر: تمام حسان، عالم الكتاب، القاهرة، مصر، ط01، 1998م.
- دو بوغراند روبير وولفغانغ درسيلر، مدخل إلى علم لغة النص، دار الكاتب، بيروت، لبنان.
- زتسيسلاف واورزنياك، مدخل إلى علم النص، مشكلات بناء النص، تر: سعيد حسن بحيري، مؤسسة المختار، القاهرة، مصر، ط01، 2003.
- فان ديك: علم النص مدخل متداخل الاختصاصات، تر: سعيد حسن بحيري، دار القاهرة للكتاب، القاهرة، مصر، ط01، 2001م.
- كريستيفا، جوليا، علم النصّ، تر: فريد الزاهي، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط02، 1997م.
- مانغونو، دومينيك، المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، تر: محمد يحياتن، الدار العربية للعلوم، بيروت، لبنان، ط01، 2008م.

- هلبش جرهارد، تطور علم اللغة منذ 19700م، تر: سعيد حسن بحيري، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، مصر، ط01، 2007م.

الكتب الأجنبيّة :

- Dubois Jean et autres, Dictionnaire de linguistique, Relevé, Montréal, Qubes, 1994.
- Halliday M.A.K and R. Hassan, Cohesion in English, Langman, London, 1976.

كتب التفسير وإعراب القرآن :

- الألوسي: روح المعاني، ضبطه وصححه: علي عبد الباري عطية، مج 08، ط 1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1994م.
- الحنبلي، أبو حفص عمر بن علي عادل الدمشقي: اللباب في علوم الكتاب، تح: عادل أحمد عبد الموجود علي معوض، ج12، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1998 م.
- أبو حيان الأندلسيّ: البحر المحيط، تح: عادل أحمد النجولي، ج6، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1، 1993م.
- جابر الجزائري: أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، ج 2، اسم للدعاية والإعلان، ط 3، 1990م.
- درويش، محي الدين، إعراب القرآن وبيانه، ج 15، دار ابن كثير للطباعة والنشر والتوزيع، ط 7، دمشق.
- الرازي، فخر الدين: التفسير الكبير ومفاتيح الغيب، تقديم: خليل محي الدين الميس، ج 21، دار الفكر، بيروت، لبنان، د ط، 1995م.
- الزمخشري، جار الله: الكشاف، دار المعرفة، مج 2، بيروت، لبنان، ط 3، 2009.
- الصّابوني، محمد علي: إيجاز البيان في سور القرآن، مكتبة الغزالي، المدينة المنورة، ط 2، 1989م.

- صافي، محمد: الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه، دار الرشيد، دمشق، ط3، 1995م.
- السعدي، عبد الرحمان: تيسير الكريم الرحمن في تفسير المنان، تقديم: محمد الصالح العثيمين، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط 1، 2002م.
- شريف، محمد حسن: معجم حروف المعاني في القرآن الكريم، مؤسّسة الرسالة، ط1، 1996.
- الشوكاني، محمّد: فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، مج 3. وزارة الأوقاف السعودية، 1431ه – 2010م.
- العثيمين، محمد بن صالح: تفسير القرآن الكريم، سورة الكهف، دار ابن الجوزي، الرياض، السعودية، ط 1، 1423ه.
- ابن عطية الأندلسي: المحرر الوجيز، تح: عبد السلام عبد الشافي، ج 9، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1، 2001م.
- القرطبي، محمد: الجامع لأحكام القرآن، تح: عبد الله التركي، مؤسّسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط 1، 2009.
- ابن كثير، إسماعيل: تفسير القرآن العظيم، دار ابن حزن، بيروت، لبنان، ط 1، 2000م.
- النّحاس، أبو جعفر: إعراب القرآن، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط2، 2008.
- ياقوت، سليمان: إعراب القرآن، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، (د ط)، (د ت).

المعاجم :

- التهانويّ، محمد علي: كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، تح: رفيق العجم وعلي دحروج، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، لبنان، 1996م.

- الجرجاني، الشريف: معجم التعريفات، تح: محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة، القاهرة، مصر، (د. ط)، (د.ت).
- الجوهري، أبو نصر إسماعيل، الصحاح، تاج اللغة وصحاح العربية، تح: محمد تامر، دار الحديث، القاهرة، مصر، (د.ط)، 2009.
- الزعبي يوسف جميل وعلي توفيق: المعجم الوافي في أدوات النحو العربي، دار الأمل، اربد، الأردن، ط 2، 1993م.
- علوش، سعيد معجم المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب، جدارا للكتاب العالمي، عمان، الأردن، ط1، 2009م.
- الفراهيدي، الخليل بن أحمد: معجم العين، تح: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1، 2003.
- الفيروز أبادي: القاموس المحيط، تق: أبو الوفاء نصّر الهوريني المصري الشافعي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1، 2004م.
- مجمع اللغة العربية: معجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، مصر، ط 4، 2008م.
- ابن منظور: لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، ط03، 2004م.

الرّسائل الجامعيّة :

- الحسن، أحمد حسنين: أسلوب الشّرط معناه ودلالته عند النحويين والأصوليين، بحث مقدم لنيل درجة الدكتوراة، جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية، دلية الدراسات العليا، دائرة اللّغة العربيّة، قسم النحو والصرف، 1428ه – 2007م.
- الجنيد، كوثر: أدوات الشّرط عند النّحاة، دراسة تطبيقية في مسند الإمام أحمد بن حنبل، بحث مقدم لنيل درجة الماجستير، كلية اللّغة العربيّة، قسم الدراسات النحوية واللغوية، جامعة أم درمان الإسلامية، 2002م.

- عبابسة، صباح: جماليات التكرار في ديوان " عفوا... سأحمل قدري وأسير " لعبد القادر عميش، إشراف: لمياء عيطو، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر، جامعة العربي بن مهدي، أم البواقي، الجزائر، 2015 – 2016.

المقالات :

- الفجاري، مختار: مفهوم الخطاب (بين مرجعه الأصلي الغربي وتأصيله في اللغة العربية)، مجلة جامعة طيبة،ع 03، المدينة المنورة، 1435ه.
- مصلوح، سعد: نحو أجرومية النص الشعري: دراسة في قصيدة جاهلية، مجلة فصول، مج10، ع12، مصر، 1991م.
- نائل، محمد إسماعيل: الإحالة بالضمائر ودورها في تحقيق الترابط النصي القرآني، دراسة وصفية تحليلية، مجلة جامعة الأزهر، بغزة، مج 1، ع 1، 2011م.

الدّواوين الشّعريّة :

- السيّاب، بدر شاكر: أنشودة المطر، مؤسسة هنداوي، القاهرة، مصر، (د.ط)، 2012.
- الشنفرى عمرو بن مالك: ديوان الشنفرى، تح: إميل بديع يعقوب، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط02، 1996م.

فهرس

الموضوعات

العنوان	الصفحة
المقدمة	أ–د
الفصل الأول: مباحث في لسانيات النص	
مفهوم النص	10–06
مفهوم الخطاب	13–10
بين النص والخطاب	15–13
من لسانيات الجملة إلى لسانيات النص	17–15
النصية	18
معايير النصية	19–18
تعريف الاتساق	25–20
وسائل الاتساق	29–25
الإحالة	34–29
أنواع الإحالة	36–35
الربط	39–36
أدوات الربط	40–39
الفصل الثاني: الاتساق النصي في سورة الكهف	
التعريف بالقرآن الكريم	42
التعريف بسورة الكهف	45–42
الاتساق النصي في سورة الكهف	47–45
قرينة الربط وأثرها في اتساق النص في سورة الكهف	48–47
الربط بالأدوات الداخلة على المفردات	66–49

الربط بالأدوات الداخلة على الجمل	92-67
الربط بالأدوات الداخلة على المفردات والجمل	11-93
الإحالة وأثرها في اتساق النص في سورة الكهف	133-111
خاتمة	136-135
قائمة المصادر والمراجع	147-138
فهرس المحتويات	150-149

الملخص:

سورة الكهف من بين السور التي برزت فيها اكثر مظاهر الاتساق النصي، خاصة الأدوات النحوية كالربط والإحالة. ونظرا لثرائها وكثرة الروابط فيها ارتأينا ان تكون مدونة بحثنا هذا والذي نهدف من خلاله الإجابة على تساؤل يرد في ذهن أي باحث اكاديمي وهو: كيف ساهمت الروابط التركيبية بأنواعها في تحقيق سبك آيات القرآن الكريم وخاصة سورة الكهف؟

لقد أسهمت وسائل عديدة في ترابط آيات سورة الكهف منها الربط بالأداة الذي يعد من أهم الآليات التي تحقق الاتساق النصي حيث يتمثل في جملة الحروف والأدوات الداخلة على المفردات والحروف الداخلة على الجمل وحروف تدخل على المفردات والجمل ومن هذه الحروف: حروف العطف وحروف الجر وأدوات الاستثناء وأدوات الشرط. وقد أوصلت هذه الحروف معاني الاسماء الواقعة بعدها الى الأفعال- أو ما في معناها- التي قبلها فتحقق بذلك نوعا من الانسجام والحبك في هذه السورة .

كما لا ننسى الدور الفعال الذي قامت به الإحالة بنوعيها الداخلية والخارجية في ربط ألفاظ وعبارات سورة الكهف حيث تجلت في مجموعة الضمائر الواردة بكثرة المتصلة منها والمستترة، واسماء الإشارة والأسماء الموصولة التي لا تحمل معنى في ذاتها بل تحيل الى معنى ما قبلها أو بعدها. وبهذا فقد شاركت الإحالة بشكل كبير في تلاحم سورة الكهف خاصة وأنها سورة تحتوي على العديد من القصص التي تبدو في ظاهرها أنها لا تترابط فيما بينها.

Abstract :

sourat al-kahf parmis les sourats qui manifeste les figures de style . Notamment les conjonctions de coordinations . puisque elle est chargées des conjonctions de coordination on a decide de l'analyser a travers cet expose de recherche qui peut répondre aux differentes questions posées par n'importe quel chercheur académie et parmis ce questions la suivante : comment les conjonction de coordinations ont contribuées a la cohérence de sourate el-kahf. plusieurs facteurs ont contribues a la cohérence de cette sourat on cite: les connecteurs logiques et conjonctions de coordinations qui sont arrives a atteindre une structure textuelle cohérente ;sans oublier le le role important de ces mots "(les connecteurs et les conjonctions) a relier les termes et les phrases du Sourat "el-kahf ". Sourat el-kahf se caractérise par les histoires citees ,variees et qui ne sont pas liees mais qui sont cohérentes grace aux connecteurs logiques, conjontions de coordinations figures.